التأدب

مع القرآن الكريم

تلاوة، كتابة، استماعاً، تفسيراً

تأليف

محمد رضوان الجيزاوي

من علماء الأزهر الشريف

التأدب

مع القرآن الكريم

تلاوة، كتابة، استماعاً، تفسيراً

تأليف

محمد رضوان الجيزاوي

من علماء الأزهر الشريف

فهرس الموضوعات

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، حمدا أكون به فى عداد الشاكرين ، المتأدبين بأدب التنزيل الحكيم ، ممن يعرفون له حقه من الإجلال والتوقير ، حين قراءته ، فأتلوه حق تلاوته، وأكتبه كما ينبغى أن يُكتب ، وأستمع إليه استماع المتدبر الخاشع ، ولا أعرض لتفسيره ، وتأويله إلا عن اجتهاد وعلم ، يكون لى فيهما رسوخ ، ثم أتوج هذا بالعمل الصالح بما جاء به القرآن الكريم ، فى كل شأن من شئون الحياة ، قولا ، وعملا ، وسلوكا .

وأصلى وأسلم على نبينا محمد القائل: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) رواه البخارى ، وبعد :

فالقرآن الكريم كلام رب العالمين ، ومعجزته الخالدة لرسوله الأمين إلى يوم الدين ، وأجَلُّ نعمة من الله مَنَّ بها على البشرية ، ليخرجها من ظلمات الجهل والكفر والتخبط ، إلى نور العلم والإيمان واليقين ، ويهديها بمبادئه القويمة إلى طريق الله المستقيم (قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ، يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(المائدة : ١٥)

وكتاب هذا شأنه يحرص المؤمن التقى على أن يُوفّيَه حقه من الاحترام والتقدير ، بما يناسب عظمته وقدسيته ، فيعرف آداب تلاوته ،

وكتابته ، وماذا يُكره ، أو يَحرم منهما ؟ ويعرف كيف يسمعه سماع المتدبر لمعانيه ومراميه ؟ وكيف يُفسَّر ؟ ومن يُفسره ؟ وماذا يُقصد بالتفسير العلمي له ، ورأى العلماء فى ذلك ، ولكن لماذا كل هذا ؟

لأن هناك من التلاوة ما هو أقرب إلى الحُرمة ، منه إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بكلامه المجيد

وهناك من الاستماع ما يكون سببا فى الإعلان عن جهل السامع ، وغفلته وخطئه فيما يَحْدُث منه ، فتضيع الحكمة المنشودة من قول الحق تبارك وتعالى (كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) (ص : ٢٩)

وهناك نوع من كتابة القرآن الكريم يأثم به صاحبه ، ويُبعده عن رضا ربه الذى يبتغيه .

وأبشع من هذا كله وأسوأ ؛ أن يوجد من البشر من يتجرأ على القرآن فيفسره دون علم ، أو حجة ، أو برهان ، أو يزعم أنه يفسره تفسيرا علميا وهو بعيد عن هذا التفسير الذى لا يعرفه إلا أصحابه .

وختاما أقول : جميل منا معشر المسلمين أن نلتزم بهذه الآداب فى تعاملنا مع القرآن الكريم ، وأجمل من ذلك أن نتوج هذه الآداب بالعمل الدائم بما جاء به القرآن العظيم ، فى أقوالنا ، وأفعالنا ، وسلوكنا ، وتعاملنا مع المسلمين ، وأن نطبق كل هذا على أرض الواقع الذى نعيشه ، فنسلك سلوك أبائنا الأولين ، الذين ملئوا الكرة الأرضية أمنا وأمانا ، وعدلا ووئاما ، وعلما وحضارة ، وسادوها شرقا وغربا.

ولا أقول ذلك إدعاءا ، أو اختلاقا ، فالتاريخ وصفحاته خير شاهد على ذلك ، فليرجع إليه من لديه أدنى شك فيما أقول ، ويا حبذا لو قرأ ما كتبه المؤرخون الأوربيون المنصفون عن حضارة المسلمين ، التى سطعت عندهم يوم أن كانت أوربا وأمريكا فى ظلمات حالكة من الجهل والأمية.

فضل القرآن الكريم على البشرية

إن للقرآن العظيم فضلا يعجز البلغاء والفصحاء عن التعبير عنه كما ينبغى أن يقال ، ولذلك يجدر بنا أن يكون التعبير عن جانب من فضله لبعض آيات الذكر الحكيم ، ولبعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهما خير من يتولى ذلك ، عن جدارة وإتقان وإحكام .

يقول ربنا : (ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) (البقرة : ٢) .

أى : ذلك القرآن هو الكتاب الكامل ، الذى بلغ من وضوح الدلالة وسطوع البرهان حدا لا ينبغى لمرتاب أن يقع فيه ، لأنه صدق وحق ، وهو يزيد المتقين هداية على هدايتهم التى مُنحوا إياها حين أنار بصائرهم بقبول هذه الهداية .

ويقول الحق سبحانه وتعالى (قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ، يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (المائدة : ١٥)

أى : قد جاءكم من الله نور هو محمد ، فقد وصفه ربه فى آية أخرى بالسراج المنير ، لأنه يُهتدى به كما يُهتدى بالسراج المنير ، أما الكتاب المبين فهو القرآن الكريم ، الذى يُوضح ما كان خافيا على الناس من الحق والصدق والدين القويم ، ويهدى كل من اتبع دين الإسلام إلى طريق النجاة والسلامة ، ومناهج الحق ، والاستقامة فى هذه الحياة .

ويقول عَزّ مِنْ قائل (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (الإسراء : ٩)

أى : إن هذا القرآن يهدى للحالة التى هى أصوب الحالات ، وهى توحيد الله والإيمان برسله ، والعمل بطاعته فَدِينُ الله الواحد الأحد هو أفضل حالة يكون عليها البشر

ويقول وهو أصدق القائلين : (وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (الإسراء : ٨٢)

أى : وننزل من القرآن ما فيه شفاء للناس ، وذلك ببيان ما هم فيه من الضلالة والانحراف ، وفيه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها .

وفيه شفاء للناس من الأمراض الباطنة والظاهرة ، والأمراض الباطنة نوعان : أحدهما الاعتقادات الخاطئة ، والثانى الأخلاق المذمومة ، فهو يشفى من هذه الاعتقادات الخاطئة ، ببيان الحق والصدق مما يجب الاعتقاد به ، وفيه تنفير من الأخلاق الذميمة ،

وتحذير منها ، وإرشاد إلى الأخلاق الحميدة ، والأعمال الفاضلة التى تعود على الفرد وعلى المجتمع بالخير والإسعاد .

وفيه شفاء من الأمراض الظاهرة ، فالتبرك به إن حصل من إنسان تقى نقى قد يدفع كثيرا منها ، بدليل ما حصل من الرُّقيا بقراءة الفاتحة من أحد الصحابة على إنسان لدغته حية ، وكرر قراءتها وتفل فشفى هذا الإنسان وليس معنى هذا إغفالاً للتداوى الذى دعا إليه الإسلام .

وفيه كذلك شفاء من الأمراض النفسية كالهم والحزن ، والتوتر والقلق ، والخوف من العدو ، والفقر والضيق.

فالمهموم والحزين يبرأ من همه وحزنه إذا كرر قول الله تعالى (لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) (الأنبياء : ٨٧) . فقد قالها سيدنا يونس فبرئ من حزنه.

والمصاب بالتوتر والقلق يهدأ إذا كرر قول الله سبحانه (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ) (الفتح : ٤) .

والخائف يزول خوفه إذا ردد قول الحق تبارك وتعالى (ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ

حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران : ١٧٣)

والمضيّق عليه فى الرزق إذا لازم الاستغفار أغناه الغفار عملا بقوله تعالى (وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى) (هود : ٣) .

والذى لا ولد له ويأمل فى الإنجاب يتوب إلى ربه ، ويداوم على استغفاره له ، متدبرا قول الله عز وجل (فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ) (نوح : ١٠ ، ١١)

فضل أهل القرآن الكريم من السنه النبويه

لقد جاء فى السنة النبوية المطهرة عن أهل القرآن الكريم ما يبعث على البهجة والسرور ، والعز والفخار ، ومن ذلك :-

- أن الله جعلهم فى مصاف العظماء ، ومن أفضل الناس ، وأسماهم درجة :

فعن عثمان بن عفان ﷺعن النبى ﷺ قال : (**خيرُكُم من تعلّم القرآن وعلمَّه**) رواه البخارى ومسلم

والمعنى : أن أفضلكم مَنْ جاهد نفسه فى حفظ القرآن الكريم وفـهم معناه ، ثم يعلمه للناس ويدعوهم إلى العمل به.

- كما أن الله جعلهم يكتسبون عن كل حرف يقرءونه جملة من الحسنات ويزدادون عند الله درجات

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول ﷺ : **(مَنْ قرأ حَرْفًا من كتابِ اللهِ فلَهُ به حسنةٌ ، والحسنةُ بعَشْر أمثالها ، لا أقول (ألم) حرف ولكن (ألف) حرف ، و(لام) حرف ، و(ميم) حرف)** رواه الترمذي

- وأهل القرآنِ تشملهم ظُلةُ الرحمةِ ، ويُحاطون بملائكةِ الرحمة وتنزل عليهم السكينة

فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول ﷺ قال : **(ما اجتمع قومٌ فى بيتٍ من بيوتِ اللهِ يَتلُون كتابَ الله ويتدارسونهُ فيما بينهم إلا نزلَت عليهم السكينةُ ، وغشيتهم الرحمةُ ، وحفّتهم الملائكةُ وذكرَهُم الله فيمن عنده)** رواه مسلم وابو داوود وغيرهما

- وأهل القرآن لا يحزنهم الفزع الأكبر ، لأنهم فى حماية الله ، بسبب اتخاذهم القرآن الكريم منهاجا لهم فى دنياهم .

فعَن أبى أمامة الباهلى ﷺ قال : **(القرآنُ شافعٌ ، مُشفّعٌ ومَاحِلٌ مُصدَّقٌ ، من جَعله أمامَه [1] قادهُ إلى الجنة ، ومَنْ جعله خلفَ[2] ظهرهِ ساقهُ إلى النار)** رواه بن حبان فى صحيحه

- وحملة القرآن سبب فى رحمة آبائهم ، وإغداقهم بالنعيم ، وإمداد الله لهم بالأنوار المتلألئة جزاء قراءة أولادهم القرآن الكريم

فعن سهل بن مُعاذ الجُهنى عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : **(من قرأ القرآنَ وعملَ بما فيه ألبسَ والدَه يومَ القيامةِ تاجا ضوؤُهُ**

---

(١) أى : من جعله قدوته وعمل بأوامره ، ومعنى (ما حل مصدق) أى:خصم مُجادل صدق (لسان العرب).

(٢) أى : من ترك قراءته وأهمله ، ولغا عند استماعه .

أحسنُ من ضَوءِ الشمس فى بيوتِ الدنيا لو كانت فيكم ، فما ظنكم بالذى عَمِل بهذا) أخرجه أبو داوود

- وحملة القرآن الكريم إذا عملوا بما جاء به يتكرم اللهِ عليهم بنضارة الصحة ، وتمام القوة ، وكمال العقل ، ولا يبلغون كِبَر الهرَم والخرَف والضّعف (تعليقات كتاب الترهيب والترغيب)

فعن ابن عباس ﷺ قال : (مَنْ قرأ القرآنَ لم يُردُّ إلى أرْذلِ العُمُر) وذلك قوله تعالى (ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ، إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) (التين : ٥،٦) ، قال : (الذين قرءوا القرآن) رواه وقال صحيح الإسناد

تخويف لمن نسى ما حفظه من القرآن الكريم

على كل مؤمن ملأ الإيمان قلبه أن يحافظ على مَا مَنَّ به الله عليه من حفظ للقرآن الكريم كله ، أو بعضه ، لأن ذلك المحفوظ أغلى ما يملك الإنسان فى حياته من كنز ثمين ، فيتعهد ما حفظه بالمراجعة الدائمة ، والقراءة المستمرة ، لأنه أشدُّ تفلتا من الإبل فى عُقلها :-

فعن أبى موسى الأشعرى ﷺ عن النبى ﷺ قال : (تعاهدوا القرآن فو الذى نفس محمد بيده لهو أشد تَفلُّتا من الإبل فى عُقُلها) رواه مسلم

ووصيتى لكل مؤمن أن يظل محافظا على ما أنعم الله عليه بحفظه فلا يغفل عن استذكار القرآن وتلاوته ، لأن نسيان شئ منه يعتبرُ من أكبر الذنوب .

فعن رسول الله ﷺ قال : (عُرِضَتْ علَـيَّ أجُورُ أمتى حتى القذاة[1] يُخرجها الرجلُ من المسجد ، وعُرِضَتْ عليَّ ذنوبُ أمتى فلمْ أرَ ذنبا أعظمَ من سورةٍ من القرآن ، أو آيةٍ أوتيها رجلٌ ثم نسيَها)[2] رواه أبو داوود والترمذى

وعن سعد بن عُبادة رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ (ما منْ امرئٍ يقرأ القرآنَ ثم ينساهُ إلا لقِيَ اللهَ أجذم) [3] رواه أبو داوود .

تحذير خطير لحملة القرآن الكريم

يجب على أهل القرآن الكريم وحملته ، وعلى العلماء ، والمنفقين أموالهم فى سبيل الله والمجاهدين أن يحذروا هذا الداء الخطير الذى يجعل كل واحد منهم أولَ من يُعذب بنار جهنم ، ويَصْلَى سعيرها ، ذلكم الداء هو الرياء.

فعجبا ، ثم عجبا لذلك !! كيف أكون من أهل القرآن ، وأسبق الناس إلى النيران ، والله لا أقول ذلك إدعاءا ، أو اختلاقا ، وإنما عن دليل قاطع من القرآن الكريم عن المرائين ، ومن السنة النبوية المشرفة عن هؤلاء الثلاثة (أى : الشهيد ، والعالم الذى يحمل القرآن والمنفق فى سبيل الله إذا اتصفوا بالرياء) .

فمِنَ القرآن الكريم عن الرياء يقول الحق تبارك وتعالى (وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا) (النساء : ٣٦)

---

(١) القذاة : اليسير مما يؤذى .

(٢) أى : ترك قراءتها .

(٣) أجذم : مقطوع اليدين ، وهو كناية عن خلو يديه من الخير يوم القيامة .

ويقول سبحانه (فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا) (الكهف : ١١٠) ، ويقول جل وعلا : (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ، ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ، وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ) (الماعون : ٥) ، أى : هلاك للمصلين المرائين ، فكيف أصاب الهلاك هؤلاء المصلين ؟

أصابهم بسبب ريائهم ، ويقول عز وجل (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ) (البقرة ٢٦٤)

يا الله!! أيضيع إنفاقى فى سبيل الله ؟! نعم يضيع بالرياء ،وهو العمل الذى يريد به الإنسان مدح الناس وثناءهم.

ومن السنة النبوية المطهرة عن أبى هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن أولَ الناسِ يُقضَى عليه يومَ القيامةِ رجلٌ استُشْهِدَ فأُتِيَ به ، فعرفَهُ نِعمتَهُ فعرفَها ، قال فما عَمِلْتَ فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتى استُشْهِدْتُ ، قال كَذَبْتَ ، ولكنَّك قاتلتَ لأن يُقالَ هو جَرِئ ، فقد قِيلَ ، ثم أمِر به فَسُحِبَ على وجْهِهِ حتى ألقى فى النار ورجلٌ تعلَّمَ العِلْم وعلَّمهُ ، وقرأ القرآنَ فأُتِيَ به ، فعرَّفَهُ نِعمَهُ فعرَفَها قال فما عمِلْتَ فيها ؟ قال : تعلَّمتُ العلمَ وعلَّمْتُه ،وقرأتُ فيكَ القرآنَ قال كذبتَ ، ولكنكَ تعلمْتَ العلمَ ليُقالَ عالِم ، وقرأتَ القرآنَ ليُقالَ هو قارئٌ ، فقدْ قِيلَ ، ثم أمِرَ به فَسُحِب على وجْهِهِ حتَّى أُلقِيَ فى النار ورجلٌ وسَّعَ اللهُ عليهِ ، وأعطاهُ منْ أصنافِ المالِ كُلِّه فأُتِيَ به ، فعرَّفهُ نِعَمَهُ فعرَفَها ، قالَ فمَا

عَملْتَ فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيل تُحبُّ أن يُنفقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لكَ ، قال كَذَبْتَ ، ولكنَّك فعلْتَ ليقال : هو جَوَاد ، فقد قِيْلَ ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار) ما رواه مسلم

وقال الترمذى فى هذا الحديث : ثم ضرَب رسول ﷺ على ركبتى فقال يا أبا هريرة : أولئك الثلاثةُ أولُ خَلق الله تُسعَّر بهم النارُ يومَ القيامةِ

وخرَّج بن المبارك فى رقائقه عن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (يَظْهرُ هذا الدينُ حتى يجاوزَ البحارَ ، وحتى تُخاض البحار بالخيل فى سبيل الله تبارك وتعالى ، ثم يأتى أقوامٌ يقرءون القرآن فإذا قرءُوه قالوا : مَنْ أقرأ مِنَّا ؟ مَنْ أعلمُ منا ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال : هل ترَوْن فى أولئك من خير؟، قالوا لا ، قال : أولئك منكم ، وأولئك من هذه الأمة ، وأولئك هم وَقودُ النار)

فيجب على حامل القرآن ، وأهل العلم ، والمجاهدين ، والمجاهدات والمتصدقين والمتصدقات أن يتقوا الله ، ويخلصوا لله العمل فلا يعملوه إلا ابتغاء رضوانه ، ومن لم يخلص فيما مضى فعليه بالتوبة واللجوء إلى الله ، مُلتزما بالإخلاص فى العمل فيما بقى من عمره حتى يرى نعيم الجنة بما عمل .

قال ابن عباس ﷺ (لو أن حملةَ القرآن أخذوهُ بحقّه وما ينبغى لأحبَّهم اللهُ ولكن طلبوُا به الدنيا فأبْغضَهُمُ اللهُ ، وهانُوا على الناس)

⊛ ما يجب أن يكون عليه أهل القرآن من الصفات :

- يجب على حامل القرآن الكريم ، وأهل العلم أن يُخلص كل منهم العمل لله رب العالمين ، فالإخلاص سر من أسرار الله يَستودعُه قلبَ من أحب من عباده ، كما قال الرسول الأمين ﷺ ، وبالإخلاص يكون العمل مقبولا وبغيره يكون مردودا ، فرسولنا الكريم ﷺ يقول :

(إن الله عز وجل لا يقبلُ من العمل إلا ما كان له خالصا وابتُغِى به وجهُه) رواه أبو داوود والنسائى

- كما ينبغي أن يكون لله حامدا ، ولنِعَمه شاكرا ، ولله ذاكرا ، وعليه متوكلا ، وبه مستعينا ، وإليه راغبا ، وبه معتصما

- وينبغي أن يكون من أهم أموره الورع فى دينه ، وتقوى الله فيما أمره به ، ونهاه عنه

قال عبد الله بن عمرو ﷺ لا ينبغِى لحاملِ القرآنِ أن يَخوضَ مَع الخائضين ، أو يَجهلَ مع الجاهلين ، ولكن يعفُو ويصفح ، كما ينبغى أن يَصونَ نفسَه عن مواضع الشبهات ، ويقل من الضحك ، والكلامِ فى مجالسِ القرآن ، ويأخذ نفسَه بالحلمِ والوقار، وأن يتواضع للفقراء ، ويَتجنَّبَ الكبرَ والإعجاب ، والجدالَ والمراء ، وأن يُصاحب مَنْ يدلّه على الخير، وعلى الصدق ومكارم الأخلاق .

- وعليه أن يتعلم أحكام القرآن ، ويَفهم مراد الله منها ، وأن يعرف المدنى من المكى ، والناسخ والمنسوخ

- فإذا مُنح قارئ القرآن ما ذكرتُ من الصفات ؛ وأخلص فى قراءته النية لله رب العالمين كان من أهل القرآن حقا وصدقا ، وأدخله الله جنات النعيم.

- ومن ابتغى بالقرآن الكريم ، أو بالعلم ، أو بالصدقة ، أو بالجهاد افتخارا ، أو رياء للناس يريد به مدحهم وثناءهم فلا ثواب له مطلقا ؛ إذ يقول الرسول الأمين ﷺ إن الله تبارك وتعالى يقول : **(أنا خيرُ شَريك : فَمَنْ أشركَ مَعي شريكا فهو لشريكي ، يأيها الناسُ أخلِصُوا أعمالكم فإنَّ الله تبارك وتعالى لا يقبلُ من الأعمال إلا ما خَلَصَ له ولا تَقولوا لِلّهِ وللرَّحِم ، فإنها للرَّحِم وليس لله منها شئ ، ولا تقولوا هذه لله ولوجوهكم فإنها لوجوهكم وليس لله منها شئ)** رواه البزار بإسناد لا بأس به والبيهقى ، و(معنى هذه لله ولوجوهكم) أى : تعطى لله وإكراما لأشخاصهم .

- فهنيئا لك أيها القارئ للقرآن الكريم مخلصا ، وهنيئا لك أيها العالم تُعلم الآخرين ابتغاء مرضات الله ، وهنيئا لك أيها المتصدق تقصد

بصدقتك رضا رب الأرباب ، وهنيئا لك إن جاهدت تبتغي بجهادك وجه الله ، فهذا سبيل الجنة ، ولا سبيل إليها بما فيه رياء .

قال سيد المرسلين ﷺ : (**فَطُوبَى للمخلصين أولئك هم مصابيحُ الهدى تَنْجلي عنهم كلُّ فِتنةٍ ظلماء**) رواه البيهقى

وأسوق للمخلصين فى أعمالهم بُشرى سارة بأن إخلاصهم فى عملهم حتى ولو كان هذا العمل قليلا يأتى بنتائج طيبة ، وخير دليل على ذلك أن معاذ بن جبل ﷺ وهو مسافر إلى اليمن قال يا رسول الله أوصنى ، قال : (**أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ العملُ القليل**) رواه الحاكم من طريق عبيد الله بن زحر عن ابن أبى عمران ، وقال صحيح الإسناد .

دعوة آثمة للأخذ بما فى القرآن دون السنة

عجبا لهؤلاء المتعالمين ، الذين يَدْعُون الناس إلى الأخذ بما جاء فى القرآن وحده ، دون ما جاء فى السنة النبوية المطهرة ، مع إجماع المسلمين فى شتى بقاع الأرض على أنها المصدر الثانى للتشريع الإسلامى ، بعد القرآن الكريم ، الذى هو المصدر الأول ، رافعين شعارا لهم يقولون : نحن أهل القرآن !!!!

وقد جهلوا أنهم بذلك خالفوا القرآن كما سنوضحه فيما يأتى :

وحجة هؤلاء فيما يَدَّعُون أن السنة النبوية لم تكتب فى عهد الرسول ﷺ ، وأنها تعرضت للكذب والوضع ، إلى غير ذلك من الشُّبَهِ التى أوردوها.

وقد تصدى لها العلماء الأفاضل بالتفنيد والدَّحْض من أمثال الدكتور/ عبد الحليم محمود فى كتابه (السنة فى مكانها وفى تاريخها) والدكتور / أحمد عمر هاشم فى كتابه (منهج الدفاع عن الحديث النبوى) والدكتور / أحمد محمود كريمة فى كتابه (الاعتداءات الأثيمة على السنة النبوية القويمة) وغيرهم ممن أبطلوا دعاوى هؤلاء المغرضين.

إنها دعوة آثمة خاطئة بكل مقاييس الإثم والخطأ ، فهى مخالفة صريحة لما جاء به القرآن العظيم الذى ينادون بالتمسك به وحده ، دون الأحاديث النبوية الشريفة.

ألم يقرءوا قول الحق تبارك وتعالى (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ) (الحشر : ٧) ، وقوله سبحانه (مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ) (النساء : ٨٠) ، وقوله جل وعلا (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (النحل : ٤٤) وقوله (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) (النساء : ٦٥)

فربنا سبحانه يأمرنا فى الآية الأولى بأن نأخذ بالسنة ، وأن نعمل بما اتانا الرسول ﷺ ، وان ننتهى عما نهانا عنه ، وفى الاية الثانية جعل طاعة الرسول ﷺ طاعة لله ، وفى الآية الثالثة وضح لنا مهمة الرسول ﷺ فى توضيح ما جاء به القرآن ، وفى الآية الأخيرة نفى الإيمان عمن لم يأخذ بالحديث ويرفض طاعة الرسول ﷺ [١] .

فكيف يقول هؤلاء إنهم يأخذون بالقرآن وحده ، وهم يخالفون القرآن نفسه مخالفة صريحة واضحة فيما يدعو إليه من الأخذ بالسنة والعمل بها !!!

---

(١) منهج الدفاع عن الحديث النبوى ص ١٤٥ .

فهل جَهل هؤلاء الناس ، أو غاب عنهم أن السنة النبوية شارحة للقرآن ، وموضحة لما جاء فيه مجملا ، وذلك كقوله تعالى عن الصلاة والزكاة (وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ) (البقرة : ٤٣) ، وقوله عن الحج والعمرة (وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ) (البقرة : ١٩٦) .

فمن أين عرفنا عدد ركعات كل صلاة ؟ وما يُتلى فيها ؟ ومواقيت هذه الصلوات ؟ وكل ما يتعلق بها من أحكام ، ومن أين كنا نعرف مقدار الزكاة ؟ والأموال التى تؤخذ منها ؟ ومن أين كنا نعرف مناسك الحج والعمرة ؟ وأركان كل منهما وسننه ؟ لو لم نأخذ بالسنة النبوية الشريفة .

فللسنة فضل كبير على هذه الأمة فى تفصيل ما أجمله القرآن الكريم كما بينا ، وفى تقييد المطلق ، وتخصيص العام .

فَممَّا جاء فى القرآن الكريم مطلقا وقيدته السنة قول الله تعالى (وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا) (المائدة : ٣٨) ، فقطع اليد فى الآية لم يقيَّد بموضع خاص ، ولكن السنة قيدته بأن يكون من الرُسغ ، ومما جاء كذلك مطلقاً قوله تعالى (وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ) (الحج : ٢٩) ، فهذه الآية توجب الطواف بلا قيد ولا شرط ، ولكن السنة قيدته بالطهارة.

ومما جاء فى القرآن الكريم عاما وخصصته السنة قوله تعالى (وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ) (النساء : ٢٤) فهذا عام ، خصصته السنة بقوله ﷺ (يحرُم من الرضاع ما يحرُم من الولادة) رواه الشيخان.

التأدب مع القرآن الكريم حال تلاوته

القرآن الكريم كلام رب العالمين ، ودستوره الخالد ، أنزله رحمة للعالمين ، فلا بُدَّ أن يُعطى من الإجلال والتقدير ما يناسب عظمته وإذا كان الإنسان منَّا يلتزم التحشم والأدب في حديثه مع رئيسه في العمل أو حاكمه في الدولة أفلا يكون القرآن الكريم أجدر بالأدب والوقار وهو أفضل الأذكار ، وخطاب لنا من الملك الغفار؟

ولكي يتحقق لك أيها المؤمن هذا الوقار عليك بإتباع ما دعاك إليه دينك الحنيف ، وهو سهل التحقيق والمنال ، بمشيئة الجليل المتعال .

- ومن ذلك أن تكون طاهراً من الأحداث والأنجاس ، لأنه لا يمسه جُنب ، ولا حائض ، ولا نفساء ، ولا مَنْ ليس على وضوء ، عملا بقول المولى جل وعلا (لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ) (الواقعة : ٧٩)
- كما لا يقرؤه جُنب ، ولا حائض ، ولا نفساء إلا إذا اضطررْن إلى ذلك في تعليم وتعلم [illegible] .
- ومن رحمة الله عليك إن كنت تتعلمه ألا تلزم نفسك بالوضوء إذا كان هذا يشقُّ عليك
- وعليك ألا تحرمَ عينيك من النظر في المصحف ، فالقراءة بهما أفضل من قراءته عن ظهر قلب ؛ لأنك ستعطي العين والأذن معا حظهما من العبادة ، فقد رُوى عن رسول الله ﷺ أنه قال (أفضلُ عبادةِ أمتي قراءةُ القرآن نظرا) القرطبي
- وينبغي أن تكون طاهر الثوب والبدن ، تقديرا لعظمته ، وأن تستقبل القبلة ، وأن تطيِّب فاك بالسواك ، فإن لم يوجد فبما يُكسب الفم رائحة طيبة ، لأن الفم طريق القرآن وقت التلاوة .

- فإذا شرعت فى قراءته ، أى : أردت أن تبدأ قراءته فتذكر انك مأمور من الله بتلاوته ، فهو سبحانه يقول (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ) (النمل : ٩٢ ، ٩٣)

ثم استعذ بالله من الشيطان الرجيم ، لأن مولانا يقول : (فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ) (النحل : ٩٨) .

ومعنى استعذ بالله : ألجأ إليه ، واستعن به حتى لا يعرض لك الشيطان الملعون فيشغلك عن تدبره وفهم معانيه ، تحقيقا لرغبته وأمانيه ، لأن الاستعاذة تطهير للقلب من شواغله عن الله تعالى ، فهى إقرار من العبد لربه بضعفه ، وعدم مقدرته عن دفع وسوسة الشيطان ، الذى هو ألدُّ أعداء الإنسان.

- ثم اتبع الاستعاذة بالبسملة ، فإذا استرسلت فى القراءة فلا تقطعها بكلام الآدميين بغير ضرورة ملحة ، أو عذر قاهر .
- واستحضر قلبك وعقلك فيما تقرأ ، لأنه أمرنا بتدبر ما نقرأ عملا بقوله (كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ) (ص : ٢٩) .
- فإذا بلغت آية الوعد بالرحمة والمغفرة فقِفْ عندها ، واطلب من ربك الرحمة والمغفرة ، وإذا وصلت آية الوعيد بالعذاب الأليم فاستَجِرْ بالله ، واضْرع إليه ألا تكون من أهله
- وإذا قابلتك آية سجدة فبعد قراءتها تحَرَّ القبلة ، ثم كبر واسجد سجدة واحدة بغير تشهد ولا تسليم ، ثم كبر عند رفع رأسك ، وهذه تسمى سجدة التلاوة وهى على سبيل الاستحباب.
- والتزم فى قراءتك بالترتيل الذى أمِرْنا به فى قوله سبحانه وتعالى (وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً) (المزمل : ٤) والمراد بالترتيل فى القراءة الالتزام

بالكيفية المخصوصة التى بينها علماء القراءات ، وأئمة الأداء ،لأنك إن أهملتها كنت من المحرومين من أجر التلاوة وثوابها

وهذه الكيفية : هى تجويد كلماته ، وتقويم حروفه ، وتحسين أدائها بإعطاء كل حرف منها ما يستحقه من الإجادة والإتقان ولا يكون ذلك إلا بإخراج كل حرف من مخرجه ، بحيث يمتاز عما يقاربه من الحروف ، وإظهار الشدَّات ، وإتمام الحركات ، وتَوْفِيَة الغُنَّات ، وقصر ما ينبغي قصره ، ومد ما يتعين مده ، وملاحظة الوقف الجائز ، واللازم ، والممنوع .

لأنك إذا لم تلتزم باللازم والممنوع تغير المعنى المراد وذلك كما فى الوقف على كلمة (قولهم) فى الآية الكريمة (فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) (يس : ٧٦)

- ويعرف الوقف اللازم بوضع حرف (مـ) على الكلمة كما ترى فى الآية، وهذا الوقف واجب وجوباً حتمياً وإلا تغير المعنى
- ويعرف الوقف الممنوع بوضع حرف (لا) على آخر الكلمة كما فى كلمة طيبين فى قوله تعالى (ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ) (النحل : ٣٢) فيمكنك الوقف عليها ، مع امتناع البدء بما بعدها.

- كما يعرف الوقف الممنوع أيضاً بعلامة تسمى التعانق ، وهى وضع ثلاث نقاط متعانقة هكذا (∴) بحيث إذا وقفت على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر ، وذلك كما فى قوله

تعالى (ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ) (البقرة : ٢) فإذا وقفت على (لا ريب) لا يصح الوقف على (فيه) أى : قف على واحدة منهما دون الوقف على الثانية.

- ويعرف الوقف الجائز الذى يستوى فيه الوصل والفصل بوضع حرف (ۚ) على الكلمة مثل قوله (نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّ ۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدًى) (الكهف : ١٣).

- وهناك وقف جائز والوصل أولى ، وعلامته : (ۖ) ، ووقف جائز والوقف أولى ، وعلامته :(ۗ).

- وأخيرا أقول لمن لا يستطيع دراسة القراءات ، أو من لم يسعفه الحظ بتعلمها عليك بسماع برنامج : كيفية قراءة القرآن بإذاعة القرآن الكريم .

لأننا ونحن صغار حفظنا القرآن مجوّدا بالتلقى عن مشايخنا فنطقناه كما نطقوا ، فافعل ما فعلنا فى حفظه بطريقة التلقى عن القراء الكرام، فهى الطريق القويم للحفظ السليم.

وبذلك الذى ذكرناه يتحقق المعنى المطلوب من قول الحق تبارك وتعالى (وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا) (المزمل : ٤) قال القرطبى فى تفسيرها : (أى لا تعجل بقراءة القرآن ، بل اقرأه فى مَهَل وبيان

مع تدبر المعانى ، وقال الضحاك : اقرأه حرفا حرفا ، وقال مجاهد : الترتيل :التنضيد ، والتنسيق ، وحسن النظام) [١]

وأنا أوجه نظر هؤلاء الذين يقرءون القرآن فى سرعة وضجيج كما نرى الآن من هذه الجماعة التى تقرأ ما يُسمى عندهم بالخَتمة أو الصَمدية ، أو العتاقة إلى غير ذلك مما لا يعرفه عصر النبوة ولا الصحابة ولا التابعين ، أوجه نظرهم إلى أن للقرآن الكريم حرمته وجلاله ، ويجب أن يُقرأ بصوت معتدل مناسب لقدسيته بحيث لا يكون فيه ضجيج أو عجيج ؛ لأن ما نراه منهم يتعارض مع (جلاله وقدسيته).

ولا يخفى على عاقل أن الله أمرنا بتدبره والمسرع فى قراءته يكون فى عداد الغافلين عما فيه من مواعظ وعبر . ولذلك يقول الإمام مالك – رحمه الله – (رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآنُ يلعنُه) [٢] هذا فضلا عن أن القرآن إذا كان من هؤلاء الناس بأجر لا يصل ثوابه للميت .

وقال ابن عباس ﷺ : لأن أقرأ (إذا زلزلت) و (القارعة) أتدبرهما أحب إلى من أقرأ (البقرة) و(آل عمران) هَذرمَة ، أى : إسراعا .

وقال الإمام الغزالى : أعلم أن الترتيل مستحب حتى من الأعجمى الذى لا يفهم معنى القرآن ، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام ، وأشد تأثيرا فى القلب من الهَذرمة والاستعجال [٣] .

---

(١) تفسير القرطبى .
(٢) إحياء علوم الدين للغزالى .
(٣) إحياء علوم الدين للغزالى .

وبعد هذا البيان ليس لمُدّعٍ من هؤلاء المسرعين في قراءته أن يتذرع بحجة واهية ، وهي أنه لا يفهم كثيرا من لغويات القرآن ؛ لهذا فهو لن يستفيد من ترتيله العبرة المنشودة .

- لأنا نقول له : ينبغي أن يستحضر كل منكم عظمة الخالق الذي تنطقون بكلامه ، فتلاوته ذات شأن عظيم تستدعي من الخشية والتوقير ما يناسبها.
- وإذا كانت الجبال الصُّم تخشعُ لو نزل عليها هذا القرآن العظيم ، أفلا تكون أنت أيها الإنسان صاحب العقل والفكر أحق بهذه الخشية (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(الحشر : ٢١) .
- فإذا كان الجبل يخشع لو نزل عليه هذا الكلام الذي تسرع في قراءته فأين أنت أيها القارئ العجول من هذه الخشية ؟!!
- وإذا كان المؤمنون الأتقياء توجل قلوبهم ، وتمتلئ بالرهبة والخوف من ذكر العذاب والوعيد ، أفلا تحب أن تكون من هؤلاء ؟ (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال : ٢) .
- وإذا كان أحبَّاء الله الذين يخشونه ، تقشعر جلودهم حينما يسمعون وعيده ، أفلا يسرك أن تكون من هؤلاء الخاشعين؟ (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) (الزمر : ٢٣) .
- وإذا كان هؤلاء الأتقياء الأصفياء ترق قلوبهم ، وتطمئن نفوسهم وتسكن أفئدتهم عند سماع آيات الرحمة والبشارة ، أفلا ترغب أن

تحظى بالانتظام فى صفوف هؤلاء ؟ (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ) (الزمر : ٢٣) .

- وأخيراً أقول لكم . . . . اتلوا القرآن الكريم حق تلاوته ، وذلك بأن يشترك فيه اللسان ، والعقل ، والقلب ، فاللسان يرتل كما بيننا والعقل يفكر ويترجم ، والقلب يتعظ ، والجوارح تعمل وتكد وتجتهد فيما أمر الله ، وتبتعد عما نهى عنه ، فمعنى قوله تعالى (ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ) (البقرة : ١٢١) كما ذكر الإمام النسفى : 'يقرءونه حق قراءته فى الترتيل ، وأداء الحروف والتدبر، والتفكر ، وقال الإمام القرطبى : يتّبعونه حق إتباعه فيحللون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويعملون بما تضمنه ، وعن ابن عمر ﷺ عنه قال : إذا مرُوا بآية رحمة سألوا الله ، وإذا مرُوا بآية عذاب استعاذوا منها .

لوم وعتاب لبعض قراء المآتم والحفلات

ونحن بصدد الحديث عن تلاوة القرآن الكريم لابد لنا من التوجه باللوم والعتاب لهؤلاء الذين نسمع منهم فى المآتم والحفلات ، ما يتناقض مع جلال القرآن وعظمته . ذلك أن بعضهم – وهو نادر والحمد لله – يجمع قراءات متعددة فى نفس واحد ، وفى الآية الواحدة ، فنسمعه يرددها قارئا لها كل مرة برواية من روايات القراءات ، وكأن القرآن عنده تواشيح تُردّد فى نبرات مختلفة صعودا وهبوطا ، أو كأنه أغنية يكرر كلماتها فى أصوات موسيقية مثيرة – حاشا لله ولكتابه أن يُقرأ هكذا - .

أما علمت أيها القارئ الموقر !! أنك أتيت منكرا من القول لا تقره شريعتنا ، ولا يرضاه ديننا ، فما كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك ، وما كان

أصحابه من بعده يأتونه ، ولم نسمع أن أحدا من سلفنا الصالح بعدهم قد صدر عنه شئ من ذلك ، فمن أين أتيت بهذا الجديد فى قراءتك ؟

إذا كنت قد استندت فى عملك هذا – كما يقول بعضهم – إلى قول الرسول ﷺ (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه)[1] ففهمت أن فى هذا الحديث إباحة لك فى جمع قراءات متعددة فى آية واحدة ، فإنى أقول لك ، هذا فهم خاطئ منك ، واستنتاج بغيض .

لأن معنى الحديث : أن القرآن أنزل بسبع لغات ، تيسيرا على أصحابها ، وهذه اللغات السبع متفرقة فى القرآن ، وليس فى الحرف الواحد سبعة أوجه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هُذيل وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن.

فكيف يجوز لك أن تجمع هذه اللغات وتقرأ بها ، فى نفَس واحد وما جاءت لذلك ؛ وإنما للتيسير على من يتحدث بها لأنه يشق عليه أن ينتقل إلى غيرها من اللغات واللهجات ، فأنت ترى الآن أن الرجل الشامى يتكلم بلهجة تخالف لهجة الرجل المصرى ، فلو حاول أحدهما أن يتكلم بلهجة الآخر لوجد فى ذلك صعوبة ، وبدا عليه التكلف الممقوت.

ومن هنا جاءت اللغات السبع فى القرآن تخفيفا على الأمة الإسلامية كى تقرأ كل قبيلة بلغتها ، فإذا جاز هذا لمن يصعب عليه الانتقال إلى لغة أخرى ، فكيف يسوغ لك أن تفعل ذلك ولست من هؤلاء؟

وإن كنت تستند إلى قول بعض العلماء كالخطابى الذى قال : إن فى القرآن ما قد قرئ بسبعة أوجه مثل (عبد الطاغوت) [2] .

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .
(٢) تفسير القرطبى .

فإننا نقول لك : وهل إذا صح وجود شئ فى القرآن يُقرأ بسبعة أوجه أيصح منك أن تجمع هذه الأوجه السبعة ، دون مقتضٍ لجمعها .

فقد جاءت للتسهيل على أصحابها ، لينطق كل منهم بلغته ، دون أن يتكلف مشقة الانتقال إلى لغة أخرى .

فحَذار حَذار أيها القراء من مظاهر الاستخفاف فى قراءتكم ، فإن من استخف بالقرآن فقد استخف بحق الله تعالى ، واستحق من الله العذاب المهين .

❁ **وعليك أيها المؤمن مراعاة حرمات القرآن أثناء التلاوة ومنها :**

- أن تكون على هيئه وقورة حين قراءته ، فإذا كنت تستحى أن تخاطب رئيسا ، أو ذا شأن وظيفى أو إدارى وأنت مضطجع أو متكئ ،أفلا تستحى أن تخاطب مالك الملك وأنت على هذه الصورة؟!!!

يقول الإمام الغزالى : من آداب التلاوة أن يكون القارئ على وضوء واقفا على هيئة التحول ، إما قائما ، أو جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه ، غير متربع ، ولا متكئ ، ولا جالس على هيئة التكبر .

ويكون جلوسه وحده ، كجلوسه بين يدىْ أستاذه .

- وأفضل الأحوال أن يقرأ فى الصلاة قائما ، وأن يكون فى المسجد فذلك من أفضل الأعمال.

فإن قرأ من غير وضوء ، وكان مضطجعا في الفراش فله أيضا فضل ولكنه دون ذلك ، قال تعالى (ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) (آل عمران : ١٩١)

فأثنى على الكل ، ولكن قدم القيام فى الذكر ، ثم القعود ، ثم الذكر مضجعا .

قال علي ﷺ (من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأ في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو أفضل؛لأنه أفرغ للقلب).

- ومن حرمته أن تمسك عن القراءة إذا تثاءبت ، تعظيما لحقها عليك لأن القراءة مناجاة للرب ، والتثاؤب من الشيطان .
- وألا تقطع القراءة بكلام من غير ضرورة ، وأن تخلو بقراءته حتى لا يقطعها أحد بكلامه .
- وأن تستجمع قواك العقلية حتى تفهم ما تقرأ ، وأن تقف على آية الوعد لتسأل الله من فضله ، وعلى آية الوعيد لتستجير بالله من ذلك الوعيد ، كما ذكرنا سالفا .
- وأن تقف على أمثاله التي ضربها ، فتتدبر ما فيها من مواعظ وعبر وأن تلتمس غرائبه لتفهم معانيها ، وأن تراعي ما بيناه ، سابقا عن كيفية التلاوة . . وأن تُصدّق ربك ، وأن تشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ فتقول : صدقت ربنا ، وبلغ رسولك ﷺ ، ونحن على ذلك من الشاهدين .
- وألا تلتقط آية من كل سورة ، فتقرأها مكتفيا بذلك عن قراءة السور كلها مرتبة ، وألا تتأوله عندما يعرض لك شئ من أمور الدنيا ، كأن تقول لرجل جاءك (ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ) (طه : ٤٠) أو تقول لضيوفك على المائدة (كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ) (الحاقة : ٢٤).
- وألا تقرأه منكوسا ، كما يفعل بعض معلمي الكتاتيب ، إظهارا لمهاراتهم ؛ لأن في ذلك مخالفة لحرمته ، وألا تُقعّر في قراءته كفعل هؤلاء المتنطعين في إبراز الكلام تكلفا ، فإن هذا من هَمْز الشياطين همسوا به لهم .
- وألا تقرأه بألحان الغناء كلحون أهل الفسق ، ولا بترجيع النصارى ولا نوح الرهبانية ، فإن ذلك كله زيغ ، والمراد بلحون أهل الفسق

التطريب به ، وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة ، والمراد بترجيع النصارى: ترديد الحروف كقراءة النصارى ، ومعنى ألا تــقعّر : أى : تـبُرز الحروف بتكلف .

- ومنها ألا تقرأه فى الأسواق ، ولا فى مواطن اللغط والباطل ومجمع السفهاء .
- ومنها أن تفتتحه بقراءة نحو خمس آيات منه ، كلما ختمته وانتهيت من قراءته ، حتى لا يكون كهيئة المهجور إذا ما ختمته ، وتركت الافتتاح مرة أخرى .
- وعليك ألا تتركه منشورا ، وألا تضع فوقه شيئا من الكتب أو غيرها إذا انتهيت من القراءة ؛ لأنه يعلو ولا يُعلى عليه .
- ومن حرماته كذلك ألا تجهر به على غيرك وهو يقرأ ، فتفسد عليه قراءته ، ويكون كهيئة المغالبة ، وألا تحاول أن تجادل فى قراءتك فتقول لصاحبك ليس هكذا تكون القراءة ، إذ ربما كانت قراءته صحيحة جائزة ، فتكون قد جَحدْت حقا .
- كما ينبغى أن تراعى فى صوتك وأنت تقرأ ، الحالة التى ينبغى أن تكون عليها ، فإن كنت تقرأ القرآن فى المسجد فانه يحسن بك أن تسمع نفسك ، بحيث لا يتجاوزك الصوت إلى غيرك ؛ لأن الإسرار بالقراءة فى المسجد أفضل من الجهر بها ؛ لقول الرسول ﷺ **(فضلُ قراءةِ السر على قراءةِ العلانيةِ كفضل صدقةِ السر على صدقةِ العلانيةِ)** [1] .

وإنما كانت قراءة السر أفضل ، لأنه لا تشويش فيها على احد فى المسجد ، كما أنها أبعد عن الرياء ، الذى قد يتطرق إليك؛ لوجودك بين الناس ، فعن سعيد بن المسيب أنه سَمِع ذاتَ ليلةٍ فى مسجد رسول الله ﷺ عمرَ بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته، وكان حسن الصوت ، فقال لغلامه : اذهب إلى هذا المُصلى فمُرْه أن يَخفضَ من صوته ، فقال الغلام : إن المسجد ليس لنا ، وللرجل فيه نصيب ، فرفع سعيد صوته وقال : يأيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك ، فاخفض صوتك ، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئا ، فسكت عمر ابن عبد العزيز ، وخفف

---

(١) رواه د: ن: ت وهو حديث حسن

ركعته ، فلما سلم أخذ نعليه، وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة المنورة)[1] .

وقال الإمام القرطبى (لا يصح أن يجهر بعض على بعض فى القراءة فيفسد عليه ، حتى يبغض إليه ما يسمع ، ويكون كهيئة المغالبة) [2].

وعن قيس بن عباد أنه قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الذكر ، وممن كان يكره رفع الصوت عند قراءة القرآن غير سعيد بن المُسَيِّب: سعيد بن جُبير والقاسم بن محمد ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، والإمام مالك بن أنس ، واحمد بن حنبل)[3] .

أما من قالوا إن رفع الصوت بالقرآن والتطريب به أوقع في النفس وأسمع فى القلوب مستدلين بحديث (**ليس مِنا من لمَ يتغنَّ بالقرآن**) [4] رواه البخارى وبحديث (**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**) رواه البخارى .

فإنا نقول لهم : إن أئمة الحديث فسَّروا الحديث الأول بأن معناه (ليس مِنا من لم يَستغْن بالقرآن) أى : من الاستغناء الذى هو ضد الفقر وليس من الغِنّاء ، يقال فى اللغة : تغنيتُ وتغانيتُ بمعنى : استغنيت وفى الصحاح : تغنى الرجل بمعنى : استغنى ، وأغناه الله وذلك كقول الشاعر :

كلانا غنى عن أخيه حياته   ونحن إذا متنا أشد تغانيا

والذى قال بهذا الرأى سفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح والبخارى ، أما الحديث الثانى وهو (زيِّنوا القرآنَ بأصواتكم) فمعناه (زيِّنوا أصواتكم بالقرآن) فهو من باب المقلوب ، وذلك كقولك : عرضت الحوض على الناقة؛ والمعنى: عرضت الناقة على الحوض .

---

(١) من كتاب احياء علوم الدين صفحة ٥٠٥ج٣
(٢) من تفسير القرطبى صفحة ٢٥ ج١
(٣) تفسير القرطبى صفحة ٩ ج١
(٤) تفسير القرطبى صفحة ٩ ج١

ومن ذهب إلى هذا الرأى الخطابي وقال : كذا فسره غير واحد من أئمة الحديث وأيده في الرأي الإمام القرطبي) [١] وقيل إن المعنى : زينوا القراءة بأصواتكم [٢] .

ويرى بعض العلماء أن المراد من التغنى بالقرآن : الجهر به لا التطريب ، واستدل على رأيه هذا بحديث مسلم عن الرسول ﷺ قال: (ما أَذِنَ اللهُ لشئ إذنه لنبيٍّ حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن: يجهر به) [٣]

فقد فسر الحديث التغنى بالجهر ، ولم يقل يُطرِّب به ، والعرب تسمى كل من رفع صوته ووالاه ، غانيا ، ويسمون فعله ذلك غناء، وإن لم يُلحِّن بتلحين الغناء .

قال الإمام القرطبي (إن قراءة القرآن وصلت إلينا متواترة جيلا إثر جيل، من العصر النبوى الكريم إلى عصرنا هذا ، وليس فيها تلحين، ولا تطريب مع كثرة المتعمقين في مخارج الحروف وفي المده والإظهار ، والإدغام ، وغير ذلك من كيفية الأداء، .... ثم إن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز ومد ما ليس بممدود ، فترجع الألف الواحدة ألفات ، والواو الواحدة واوات ، والياء الواحدة : ياءات ، فيؤدى ذلك إلى زيادة في القرآن وهو ممنوع) [٤]

ويرى الإمام الغزالي رحمه الله (أن الجهر أفضل لمن لا يخاف على نفسه من الرياء ، ولم يكن في جهره تشويش على أحد).

وحجته في ذلك أن الجهر يوقظ قلب القارئ ، ويجمع همه إلى الفكر فيه ، ويصرف إليه سمعه ، ولأنه يطرد النوم ، ويزيد في نشاط القارئ ، ويقلل من كسله ، ولأنه بالجهر قد يوقظ نائما فيكون سبب إحيائه ، ولأنه قد يسمعه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ، ويشتاق للخدمة ، فمتى حضر شئ من هذه النيات فالجهر أفضل .

---

(١) رواه أبو داود والنسائي
(٢) تفسير القرطبي صفحة ١٠ ــ ١١ ج١
(٣) تفسير القرطبي صفحة ١٠
(٤) تفسير القرطبي ص ١٣ ج١ يحكيه القرطبي عن علمائه .

وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر، وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار ، وتتضاعف أجورهم ، فإذا كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور .

ولهذا نقول إن قراءة القرآن فى المصحف أفضل ، إذ يزيد الأجر بالنظر فيها ، وتأمّل المصحف وجُمَلِه ، يزيد الثواب بسببه ، وقد قيل الختمة في المصحف بسبع ، لأن النظر في المصحف عبادة وقد خرق عثمان بن عفان ﷺ مصحفين ، لكثرة قراءته فيهما) [1] .

وأريد أن أعقب على ما ذكر بقولى : إن قراءة القرآن سواء كانت فى المسجد ، أو فى البيت ، أو فى مكان عام ، ينبغى أن تكون بين الجهر والإخفات ، بحيث تسمع نفسك دون التشويش على مَنْ بجانبك ، ما دامت قراءتك لنفسك لا لأسماع الآخرين ، أو تعليمهم لأن الحق تبارك وتعالى يقول (وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ) (الأعراف: ٢٠٥) [2]

وأستند فى هذا الرأى إلى ما قاله الزمخشرى فى كتابه (الكشاف) فى تفسير هذه الآية: اذكر ربك متضرعا وخائفا ومتكلما كلاما دون الجهر، لأن الإخفاء ادخل فى الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر، وخير للإنسان ، وبخاصة من ليس عالما ضليعا فى التقوى أن يحتاط لنفسه ، كى لا يقع فريسة للشرك الأصغر وهو الرياء ، لأنه يدب فى قلوب كثير من الناس ، كدبيب النمل فى الليلة الظلماء ، على الصخرة الصماء .

- ومن حرمته إذا ختمه المسلم أن يفتتحه بخمس آيات منه ، حتى لا يكون كهيئة المهجور ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا ختم القرآن يقرأ من أول القرآن خمس آيات ، لئلا يكون فى هيئة المهجور.
- فعن ابن عباس ﷺ قال :جاء رجل فقال يا رسول الله ﷺ :أىُّ العمل أفضل ؟ قال : عليك بالحالِّ المرتحل ؟ قال :وما الحال المرتحل ؟

---

(١) من إحياء علوم الدين ج ١١ صفحة ٥٠٦،٥٠٠ ج ٣

(٢) من تفسير الكشاف صفحة ١٥٠ مجلد /١ الطبعة الثانية

قال صاحب القرآن ، يَضرب من أوله حتى يبلغ آخره ، ثم يَضرب من أوله ، كلما حل أرتحل .

- وختاما يقول الإمام القرطبى – رحمه الله – لمن ختم القرآن أن يجمع أهله ويدعو فإن الرحمة تنزل عند ختم القرآن .

حكم التغنى بالقرآن

قال الشيخ محمود الحصرى فى مجلة منبر الإسلام [(١)] استدل جمهور العلماء المحققين على كراهة التطريب بالقرآن ، والتغنى بآياته بالأدلة التالية .

- منها : ما روى عن زياد النميرى أنه جاء مع القراء إلى أنس ابن مالك ﷺ فقيل له : اقرأ : فرفع صوته وطرّب ، وكان رفيع الصوت ، فكشف أنس عن وجهه ، وكان على وجهه خرقه سوداء وقال : يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون ، وكان أنس إذا رأى شيئا ينكره كشف الخرقة عن وجهه .
- ومنها : ما روى عن القاسم بن محمد أن رجلا قرأ فى مسجد الرسول ﷺ ، فطرّب ، فأنكر ذلك القاسم وقال : يقول الله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ، لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت : ٤١) .
- ومنها : ما رواه ابن القاسم عن مالك رحمه الله أنه سئل عن الألحان فى القرآن الكريم فى الصلاة فقال : لا يعجبنى إنما هو غِناء يَتغنَّون به ليأخذوا عليه الدراهم .
- ومنها : ما روى عن أحمد بن حنبل أنه قال : القراءة بألحان لا تعجبنى ، وهى بدعة لا تسمع . ومنها : قول الرسول ﷺ (اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتهم ، وإياكم ولحونَ أهل الفسق والكتابيين

(١) مجلة منبر الإسلام صفحة ٣٩ العدد الثالث لسنة ١٩٧٠

وسيجي قوم من بعدى ، يُرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء ، والرهبانية والنـوْح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفـتونة قلوبهم وقلوبُ من يعجبهم شأنـهم) رواه البيهقى والطبرانى .

أما من استدل على جواز التغنى بالقرآن بحديث (زيّنوا القرآن بأصواتكم) وبحديث (ليس مِنا منْ لم يتغـنّ بالقرآن) [1]

فإن رأيه فى الحديثين لم يصل إلى درجة من القوة ، بحيث تجعلنا نعتمد عليه ونتقبله ، لأن كثيرا من العلماء فسروا الحديثين بتفسيرات أخرى بعيده عن رأى هؤلاء ، وقد بينا ذلك عند الحديث عن الموضوع السابق لهذا ، فارجع إليه لتعرف ما قالوا :فهل نأخذ برأى القلة ونترك رأى الجمهور ؟!!

أم نعتمد على رأى لم يبلغ حد القوة ونترك الرأى الأقوى ؟!!

- ويرى الإمام الغزالى [2] (أن تحسين القراءة ، وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مُفرط يُغيّر النـّظم سنة ، واستدل على رأيه بقول النبى ﷺ (زَيّنوا القرآن بأصواتِكم) وقوله : (ما أذِنَ اللهُ لشئٍ إذنهُ لِحسَن الصوت بالقرآن)[3] كما يرى أن الأقرب فى تفسير الحديث السابق (ليس منا من لم يَتغَنّ بالقرآن) أن المراد بالتغنى الترنم ، وترديد الألحان به ، لأن ذلك أقرب إلى اللغة ، واستدل كذلك بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان ليلة ينتظر السيدة عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال لها : ما شأنك ؟ قالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه ، فقام ﷺ حتى استمع إليه طويلا ، ثم رجع ، فقال ﷺ : هذا سالم مولى أبى حذيفة : (الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله) [4].

- ويبدو لى أن هذا الرأى سلك طريقا وسطا بين رأى من يقول بالتغنى المُفرط وجوازه وبين رأى من يمنع التغنى به ، وهو رأى وجيه إذا التزم بشروطه كل قارئ للقرآن .

---

(١) رواه أبو داود والنسائى والحاكم وصححه

(٢) من كتاب إحياء علوم الدين صفحة ٥٠٦ ج٣

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٤) رواه ابن ماجه من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات

التأدب القلبى مع القرآن الكريم

⊛ **كيف يتم للمؤمن أدب باطنه عند تلاوة القرآن ؟**

فى هذا المجال ينبغى أن نرجع إلى ما قاله الإمام الغزالى فهو خير من حديثنا عنه ، ولكى يسهل على القارئ فهم ما قاله سوف نتصرف فى بعض الأسلوب تصرفا يسيرا يقرب المعنى إلى ذهنه .

يقول الإمام : (أعمال الباطن فى التلاوة عشرة : فهم أعمال الكلام : ثم التغطية ، ثم حضور القلب ، ثم التدبر والفهم ، ثم التخلى عن موانع الفهم ، ثم التخصيص ، ثم التأثر ، ثم الترقى ، ثم التبرى) .

فالمراد بفهم أعمال الكلام : فهم عظمة الكلام وعلوه ، وفضل الله سبحانه وتعالى ، ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله ، إلى درجة أفهام خلقه ، وكيف تجلى لهم كلامه (وهو صفه قديمة قائمة بذاته) فى طى حروف وأصوات ، هى صفات البشر ، ولولا استتار كنه جلال كلامه بكسوة الحروف ، لما أطاق أحد منا سماع كلامه ، إذ تندك لعظمته الأرض من تحتنا ، وتتطاير الجبال من حولنا.

فلولا تثبيت الله عز وجل لموسى ﷺ ما أطاق سماع كلامه ، فقد صار الجبل دكا عندما بدأ يتجلى نور المولى سبحانه.

والمراد بالتعظيم للمتكلم : أن تستحضر فى قلبك عظمة المتكلم (وهو الله سبحانه) وان تعلم أن ما تقرؤه ليس من كلام البشر ، وأن فى تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر(الشأن) ، فإنه قال تعالى (لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ) (الواقعة : ٦٩) .

فإذا كان جلد المصحف، وظاهره ممنوعا أن يمسهما إلا المطهرون ، فباطنه محجوب عن باطن القلب ، إلا إذا كان متطهرا من كل رجس ، ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لكل يد مس جلد المصحف ، فكذلك لا يصلح لكل لسان تلاوة حروفه ولا لكل قلب نيل معانيه .

فتعظيم الكلام تعظيم للمتكلم ، ولن تحضر عظمة المتكلم ما لم تتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله ، فإذا فكرت فى ملكوت السموات والأرض ، وما فيهما من مخلوقات ، أوجدها الله ورزقها ، وأدركت أن الكل فى قبضة قدرته ، وأنهم مترددون بين فضله ورحمته ، وبيْن نقمته وسطوته ، وإذا فكرت فى ذلك حضر بقلبك تعظيم المتكلم ، ثم تعظيم كلامه .

<u>والمراد بحضور القلب :</u> وترك حديث النفس أن تكون متجردا له عند قراءته ، منصرف الهمة إليه عن غيره ، لست مشغولا بشئ سواه ولذلك كان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها حاضرا أعادها ثانية ، وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم ؛ فإن المعظم للكلام الذى يتلوه يستبشر به ويستأنس ، ولا يغفل عنه .

فإذا كان الذى يتفرج فى المنتزهات لا يفكر فى غيرها ، فكيف يسوغ لقارئ القرآن أن يغفل عن بستان المعرفة الإلهية .

<u>وأما التدبر :</u> وهو وراء حضور القلب ، فإنه قد لا يتفكر فى غير القرآن ، ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سُنَّ الترتيل ، ليتمكن من التدبر بالباطن .

قال على ﷺ: لا خير فى عبادة لا فِقه فيها ، ولا قراءة لا تدبر فيها.

وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد ، فليردد ، إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقى فى تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة فمن يناجيه عن فهم بقيه كلامه.

والمراد بالتفهم : أن يستوضح من كل آية ما يليق بها ، إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل ، وذكر أفعاله ، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام ، وذكر أحوال المكذبين لهم ، وأنهم كيف أهلكوا وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار ،ومن أسماء الله سبحانه وتعالى (هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) (الحشر٢٣) وقوله (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) (الشورى١١) فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها ، فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين .

أما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها ، لأن الفعل يدل على الفاعل ، فتدل عظمه المخلوق على عظمة الخالق ، من ذلك قوله (أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ) (الواقعة : ٥٧ ، ٥٨) ليتأمل كيف خلق من هذا الماء إنسانا سويا به من الأجهزة الدقيقة الصنع ما أدهش أطباء العصر .

أما أحوال الأنبياء عليهم السلام ، وأحوال مكذبيهم ، ففيه اليقين بحكم إرسالهم وفيه استشعار الخوف من سطوة الله وعقابه ، لأنه حل بالمخالفين العصاة .

أما التخلى عن موانع الفهم : فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معانى القرآن لأسباب وحُجُب ، أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن .

- **وموانع الفهم أربعة :**

- **أولها:** أن يكون هم القارئ منصرفا لتجويد الحروف وإخراجها من مخارجها ، وهذا النوع يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف ، فكيف تنكشف له المعانى . ؟ !!
- **وثانيها :** أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وتعصب له ، وهذا النوع قيده اعتماده وتعصبه ، فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده ، فإن ظهر له معنى من المعانى التى تخالف ما عرفه ، تسلط عليه شيطانه مؤنبا له كيف يخطر هذا ببالك ، وهو خلاف ما تعتقد ؟
- **وثالثها :** أن يكون مصابا فى دنياه بهوى متبع ، كأصحاب الشهوات النفسية ،والمالية ، وهذا النوع قد أصيب بظلام قلبه ، وصدأ فؤاده .
- **ورابعها :** أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما روى عن ابن عباس ومجاهد وغيرها وان غير المروى عنهم يعد تفسيرا بالرأى ويقع صاحبه تحت طائلة العذاب الأليم .

ويقال لهذا النوع من الناس : (لو كان المعنى المراد من القرآن هو الظاهر المنقول عنهم لما اختلف المفسرون فيه وقال كل منهم برأى) .

والتخصيص : وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب فى القرآن فإن سمع أمرا ، أو نهيا ، قدر أنه المنهى والمأمور ، وإن سمع وعدا أو وعيدا فكذلك ، وإن سمع قصص الأنبياء علم أن السَّمَر غير مقصود

وإنما المقصود أن يَعتبر به، بدليل قول الله تعالى لنبيه (وَكُلاً نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ) (هود : ١٢٠)

وإذا سمع خطابا لجميع الناس، فليعلم أنه قصد به الآحاد وهو واحد منها .

__والتأثر :__ وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة ، بحسب اختلاف الآيات، فيتصف بالحزن والخوف والرجاء ، وغير ذلك مما يستوجبه مدلول الآية ومعناها ، وينبغي أن تكون الحالة الغالبة على قلبه هي الخشية والخوف ، ولقد كان في الخائفين السابقين من خَرَّ مَغشيا عليه عند آيات الوعيد ، ومنهم من مات عند سماع هذه الآيات ، ومثل هذه الأحوال تبعد القارئ عن أن يكون حاكيا في كلامه ، فإذا قال (إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (يونس ١٥) ولم يكن خائفا كان حاكيا ، وإذا قال (عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ) (الممتحنة : ٤) ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكيا وإذا قال (وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا) (ابراهيم : ١٢) فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه ، حتى يجد حلاوة التلاوة ، فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان ، مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى (أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ) (هود : ١٨) وفي قوله تعالى (كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف: ٣) فإذا لم يكن كما بينا كان معرضا عما يقرأ.

ولذلك قيل : إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن ، إذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى : مالكَ ولِكلامِي وأنت مُعرض عنى ! دعْ عنك كلامى إن لم ترجع إلى .

والترقىّ : هو أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه ، **فدرجات الترقى أربعة :**

- أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل ، واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق ، والتضرع ، والابتهال.
- الثانية أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه ،فمقامه الحياء والتعظيم ، والإصغاء والفهم.
- الثالثة أن يرى فى الكلام المتكلم ، وفى الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ، ولا إلى قراءته ، ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه ، بل يكون مقصور الهم على المتكلم ، موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم من غيره ، وهذه درجة المقربين ، وما قبله درجة أصحاب اليمين ، وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين .
- وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق قال : والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ، ولكنهم لا يبصرون .

وقال بعض الحكماء : كنت أقرأ القرآن ، فلا أجد له حلاوة ، حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله ﷺ يتلو على أصحابه ، ثم رُفِعْتُ إلى مقام فوقه ، فكنت أتلوه كأنى أسمعه من جبريل ﷺ يُلقيه على رسول الله ﷺ ، ثم أكرمنى الله بمنزلة أخرى ، فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما.

وقال عثمان وحذيفة ﷺ : لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن ، وذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم فى الكلام .

<u>والتبّري :</u> هو أن يتبرأ من حوله وقوته ، ويلتفت إلى نفسه بعين الرضا والتزكية ، فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يرى نفسه عند ذلك ، بل يرى الموقنين والصديقين فيها ، ويتطلع إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم ، وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين يرى نفسه هناك ، ويقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا .

قيل ليوسف بن أسباط : إذا قرأت القرآن بماذا تدعو ، فقال أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة ، فإذا رأى نفسه بصورة التقصير فى القراءة كان ذلك بسبب قربه.

مقدار التلاوة وفضلها (ما يسمى بالورْد)

يقول الإمام الغزالى : يختلف مقدار القراءة من شخص لآخر فبعض الناس يقرأ القرآن كله فى يوم وليلة ، وبعضهم يختمه فى اليوم والليلة مرتين ، وآخر يختمه فى الشهر مرة ، ومنهم من لا يقرأ إلا فى رمضان وحده ... إلى غير ذلك من اختلاف الأزمنة باختلاف مشارب أهلها وميولهم .

والصواب : أن نتبع ما رسمه رسول التشريع الحكيم صلى الله عليه وسلم ، فقد بين لنا أن قراءة القرآن فى أقل من ثلاثة أيام لا تحقق الهدف المنشود من قراءته ، وهو الاتعاظ والتدبر ، والفهم لمعانيه وعن هذا قال : (من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه) رواه أصحاب السنن والترمذى وذلك (لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل ، كما قال الإمام الغزالى ، وقد قالت عائشة ، رضى الله عنها ، لما سمعت رجلا يقرأ القرآن هَذرمة (أى : سرعة) قالت إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت .

ولذا يحسن بالقارئ أن يختم القرآن كل أسبوع ، عملا بأمر النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو ﷺ **(أن يختم القرآن في كل أسبوع)** متفق عليه.

وكذلك كان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم يختمون القرآن في كل جمعة ، ومن هؤلاء عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبي ابن كعب .

- **وفي ختم القرآن أربع درجات :**

- الختم في يوم وليلة ، وقد كرهه جماعة.
- والختم في كل شهر ، كل يوم جزء من ثلاثين جزء ، وكأنه مبالغة في الاقتصار ، كما أن الأول مبالغة في الاستكثار.
- وبينهما درجتان معتدلتان ، إحداهما في الأسبوع مرة ، والثانية في الأسبوع مرتين .

- **والتفصيل :** (في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع ، وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر ، أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة ، وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة ، لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل) انتهى كلام الإمام الغزالي .

إذا كان هذا ما ينبغي أن يقرأه أصحاب القرآن ، فأين هم الآن من هذا ؟ إن بين الكثير منهم وهذا الكلام بوْنا شاسعا !!

فهذا لا يقرأ القرآن إلا في شهر رمضان دون بقية السنة !!

وذاك لا يقرؤه إلا للابتعاث إلى الأقطار الأخرى ، حتى إذا تحققت رغبته ، أهمل قراءته ، ونسي ما قرأه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله !!

وبعضهم لا يحفظه إلا من أجل امتحان مسابقة تمنح عليها الجوائز !! أمَا قرأ هؤلاء قول المصطفى ﷺ (مثلُ المؤمن الذى يقرأ القرآنَ ويعمل به ، كالاتــرُجَّةِ ، طعمُها طيب ، وريحُها طيب ، ومثلُ المؤمن الذى لا يقرأ القرآن (وفى رواية ولا يعمل به) كالتمرة لا ريح لهَا وطعمُها حلو ، ومثلُ المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الرَّيْحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنـظَلَةِ لا ريح لها وطعمها مر) (رواه البخارى ومسلم).

فعليك أيها المسلم أن تتعهد القرآن بالمواظبة على قراءته ، كى لا يضيع منك هذا الكنز النفيس ، وتذكر دائما قول الرسول الكريم ﷺ **(إنما مثلُ صاحبِ القرآن كمثل صاحب الأبل المُعقَّـلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن اطلقها ذهبت ، وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكرَه ، وان لم يقم به نسيَهُ)** (رواه مسلم) ، معقلة : وضع فى رجلها العقال.

وعليك أن تقرأ القرآن مادمت فى اشتياق إلى قراءته ، وأرْجِئ القراءة لوقت آخر إذا كنت غير تواق إليها ، لأن الرسول ﷺ يقول : **(اقرأوا القرآنَ ما ائتلفتْ عليه قلوبُكم ، ولانت له جلودُكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه)** وفى رواية **(فلستم تقرأونه)** متفق عليه.

وأخيرا أتوجه بقليل من عتاب إلى أهل القرآن ، قائلا لهم فى إشفاق : يا أهل القرآن : أنتم أهل الله وخاصته كما قال نبينا الكريم ﷺ **(أهل القرآن أهل الله وخاصته)** رواه فى الكبرى ، (و هـ ك) من حديث أنس بإسناد حسن، وعار علىْ أهل الله وخاصته أن يبتعدوا عن رحاب النور الإلهى فيهملوا مناجاة واهب النعم ، الغفور الودود ، الذى يحب سماع هذه المناجاة منهم أكثر مما يهوى عشاق المغنيات غناءهن ، ومصداق ذلك قول نبينا ﷺ **(للهُ أشدُّ أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القيْنةِ إلى قيْنتهِ)** .

ولا يقف الفضل عند هذا الحد ، بل إن فى قراءته معرفة بعلم الأولين والآخرين ، فقد قال ابن مسعود ﷺ : إذا أردتم العلم فأقرءوا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين ، وقال أيضا اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات .

وقال أبو هريرة ﷺ إن البيت الذى يُتلى فيه القرآن يتسع بأهله ، ويتسع خيره ، وتحضره الملائكة ، وتخرج منه الشياطين.

وعن الإمام الغزالى يقول : ورد فى التوراة : يا عبدى أما تستحى منى ، يأتيك كتاب من بعض إخوانك ، وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق ، وتقعد لأجله وتقرؤه ، وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شئ منه ، وهذا كتابى أنزلته إليك : انظر : كم فصلت لك فيه من القول؟ وكم كررت عليك فيه ، لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض ؟ أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك ؟

يا عبدى يقعد إليك بعض إخوانك ، فتقبل عليه بوجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك ، فإن تكلم منكم متكلم ، أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن : كفَّ وها أنذاك مقبل عليك ، ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى ، أجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك فإذا كان ربك يقول ذلك عن التوراة ، فماذا يكون الشأن بالنسبة للقرآن الذى جعله رب العالمين مهيمنا على كل ما سبقه من كتب النبيين والمرسلين.

فعليك أيها المؤمن بتلاوة القرآن على الدوام ، والمحافظة عليها لتحظى بشرف الذكر الإلهى الذى يقول عنه ربنا (فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ) (البقرة : ١٥٢)وفى هذا المعنى قال ثابت البنانى رحمه الله : إنى أعلم متى يذكرنى ربى عز

وجل ففزعوا منه ، وقالوا : كيف تعلم ذلك ؟ فقال : إذا ذكرته ذكرنى وهل بعد تلاوة القرآن من ذكر يفضلها ؟ لا: إن أفضل الذكر تلاوة القرآن.

وعليك يا من تحب أن تصل إلى درجة عليا : أن تقرأ القرآن كلما كان ذلك محببا إلى قلبك ، سواء كان بالليل أو النهار ، فى البر أو البحر فى السفر أو الحضر ، فى الغنى أو الفقر ، فى المرض أو الصحة ، فى السر والعلانية مادمت لا تشوش على أحد ، وقد قال ابن عباس رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ) (النساء ١٠٣) اذكروه فى كل حالة من حالاتكم .

ومما يدل على عظم منزلة الذكر قول رسول الله ﷺ (ألا أنبئكم بخير أعمالِكم ، وأزكاها عند مَليكِكم ، وأرفعِها فى درجاتِكم ، وخير لكم من إنفاق الورِق والذهبَ ، وخير لكم من أن تلقوْا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا : وما ذاك يا رسول الله : قال : ذكرُ اللهِ عز وجل دائما) رواه (ت : هـ ك) وصحح إسناده من حديث أبى الدرداء.

ويا من تحب أن يكون الله معك : عليك بذكره ، قرآنا كان أو غيره فقد قال سيد المرسلين ﷺ مما يرويه عن ربه (أنا معَ عبدِى ما ذكرنى وتحركتْ شفتاهُ بى) حب من حديث أبى هريرة .

وحذار معشر الحفظة للقرآن من أن تشغلكم الدنيا بزخارفها عن ذكر رب العالمين ، وعن ترطيب ألسنتكم بكلامه العظيم ، فإن قلة الذكر ليست من صفة المؤمنين ، بل هى من صفات المنافقين ، فقد قال مولانا الجليل فى ذم هؤلاء(وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء ١٤٢).

التأدب مع القرآن عند سماعه

من عادة الإنسان إذا حدثه عزيز على نفسه ، أو قريب إلى قلبه أن يصغى إليه بكل شعوره وحسه ، بحيث لا تطرف عينه ، ولا تنأى أذنه ، ولا يغفل قلبه .

فمن كان ربه حبيبا إلى نفسه ، قريبا إلى وجدانه ، فلينصت إلى كلامه فهو أحق بالإنصات إليه ، وأولى أن يستجمع الوجدان والشعور لسماعه .

وعليك يا من تحب أن تحظى بالمكانة عند ربك ، وتنال الرحمات منه أن تصغى إلى تلاوة القرآن إصغاء الممعن المتدبر ، فتتفكر فى فهم معانيه وتتدبر فى أمثلته وقصصه ومواعظه وحكمه ، عملا بقول الله تعالى

(وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الأعراف: ٢٠٤)

وما تنالك الرحمة باستماعه ، إلا بتدبر يزيد إيمانك ، ويقوى يقينك أو يدفعك إلى عمل صالح يعود على نفسك ، وعلى أمتك ووطنك بالخير

وليكن لنا فى سلفنا الصالح خير أسوة ، فقد كان أصحاب رسول ﷺ يتحلون بالوقار والخشية حين سماعه ، ومما يدل على ذلك ، أنهم كانوا إذا ذكرت آية تسبيح سبحوا ربهم ، فى إسرار خاشع ، وهمس خافت وإذا ذكرت آية دعاء ، نادوه نداء الخاضع ، وإذا سمعوا آية استغفار طلبوا مغفرته فى ذلة وندم ، وإذا ذكرت آية وعيد فزعوا وهلعوا

واقشعرت جلودهم ، حتى إذا ما سمعوا وعدا استبشروا وفرحوا وسكن اضطرابهم ، واطمأنت قلوبهم .

حال المؤمن عند سماع القرآن الكريم

إن مما تستدل به أيها المؤمن على مدى إيمانك ، أن تتعرف حالتك النفسية عند سماع القرآن ، فإذا أحسست فى أعماق نفسك رهبة وخوفا عند ذكر وعيده ، أو عقابه فاستبشر خيرا بأمرين :

أولهما : صدق إيمانك وقوة يقينك ، **وثانيهما** : ثواب جزيل وأجر عظيم ، ومصداق ذلك قول الحق تبارك وتعالى (وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (الحج : ٣٤ ، ٣٥) وقوله سبحانه (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (الأنفال : ٢) .

وإذا ذرفت بالدمع عيناك ، فهنيئا على ما وصلت إليه من درجة اليقين ، والمعرفة برب العالمين ، لأن مولانا يقول فى شأن من أيقنوا بالحق وعرفوه (وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ) (المائدة : ٨٣) .

أما إذا حدث منك صراخ أو ضجيج ، أو عويل وزعيق ، فاعلم أنك لا تعرف من الإيمان إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه ، يؤيدنى

في ذلك ، أنك تصيح بصوت عال : قائلا : الله : الله عندما تسمع آية وعيد أو تهديد مثل (إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) (النساء : ١٤٥) ومثل (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ) (القمر : ٤٧) كذلك ترفع صوتك تعجبا وطربا عندما تسمع آية إهلاك وتدمير ، كقوله تعالى (فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا) (الحجر : ٧٤) فلو كنت من المؤمنين الخاشعين لاقشعر جلدك ، وفزع قلبك ، من هول ما سمعت .

فأين أنت أيها المجلجل بصوتك من هؤلاء المؤمنين الذين يقول الله فيهم (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) (الزمر : ٢٣) ، وذلك إذا ذكرت آية الوعيد والتهديد فإذا ذكرت آية الرحمة والثواب ، هدأت نفوسهم ، واطمأنت قلوبهم ، وهذا معنى قوله تعالي (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ) (الزمر : ٢٣) .

يقول الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية : هذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته ، لاكما يفعله جهال العوام ، والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ، ومن النهاق الذى يشبه نهاق الحمير فيقال لمن تعاطى ذلك ، وزعم أنه وجد وخشوته إنك لن تبلغ أن تساوى حال رسول الله ﷺ ، ولا حال أصحابه فى المعرفة بالله تعالى ، والخوف منه ، والتعظيم لجلاله ، ومع ذلك كانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله ، والبكاء خوفا من الله ، وكذلك وصف الله تعالى أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره ، وتلاوة كتابه ومن لم يكن كذلك فليس على

هديهم ولا على طريقتهم قال تعالى (وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ) (المائدة : ٨٣) فهذا وصف حالهم وحكاية فعالهم فمن كان مستنا فليستن ، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو أحسنهم حالا).

والسؤال الآن : لماذا ترفع صوتك أيها المسلم حين سماع القرآن وتقول: الله . الله .؟

إذا كنت معجبا بصوت القارئ ونبراته ، فلا ثواب لك على ما سمعت ؛ لأنك لم تنتفع بما في القرآن من مواعظ ، بسبب اشتغالك بغيره وهو تطريب قارئه ، وإن زعمت أنك معجب بالقرآن وما فيه . فأنت واهم في فهمك ، مخطئ في زعمك ، لأن علامة المنفعل بالقرآن حقا أن يقشعر جلده ، عند سماع ما فيه من وعيد ، أو يسكن قلبه عند ذكر الله وعده ورحمته ، أو تدمع عينه تأثرا بمواعظه ، أو يسقط مغشيا عليه إذا ذكر انتقام الله من عصاته ، ولم نر شيئا من ذلك قد بدا عليك .

أما علمت أن رسول الله ﷺ ، بكى وفاض دمعه حينما سمع ابن مسعود يقرأ قول الله تعالى (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا) (النساء : ٤١) ، وكذلك كانوا أصحابه يبكون عند الموعظة ، فقدر روى الترمذى عن العرباض بن سارية ﷺ قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فلم يقل زعقنا ولا رقصنا ولا قمنا .

وإذا كان المولى عز وجل قد نهى المؤمنين أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبى ﷺ فقال (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ) (الحجرات : ٢) وتوعدهم ببطلان أعمالهم (أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ)(الحجرات : ٢) .

أفلا يكون العقاب أشد وأقسى على من يرفعون أصواتهم عند كلام الله سبحانه وتعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الحجرات : ١).

وإذا كان الذين يغضون أصواتهم عند كلام الرسول ﷺ وحديثه قد أخلص الله قلوبهم للتقوى ، أفلا تحب أن تكون من هؤلاء ، وتغض من صوتك عند سماع القرآن الكريم لتنال من الله الجزاء الأوفى .

إنذار لمن يسمون بالمشجعين

فى بعض الحفلات التى تقام للمآتم أو للأفراح أو المناسبات الاجتماعية ، نرى جماعة من الشبان المهرجين يسمون عادة بفرقة المشجعين ، لا هم لهم إلا أن يعملوا على تشجيع القارئ ، كى يجيد التطريب بصوته ، والتغنى بقراءته ، قائلين له فى صوت جماعى عند كل وقفة : الله : الله ، وأنت أيها المؤمن حين تسمع هؤلاء تخالهم حميرا، ينهقون بما لا يعرفون ، إذ تراهم يفعلون ذلك عند كل سكته لهذا

القارئ حتى ولو قال (وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ) (البقرة : ٢٦) بل حتى ولو قال(فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا) (الحجر : ٧٤).

وما ذلك إلا لأنهم لا يعقلون ما يقول القارئ ، ولا يتدبرون كلام رب العالمين ، إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ، إن المؤمن يخشع قلبه ، ويقشعر جلده عند ذكر المهالك ، ويلين قلبه وجلده ، ويسر فؤاده عند ذكر ما أنعم الله به على المطيعين .

فتعسا لهؤلاء ! بما أعد الله لهم من عذاب مقيم ، وجزاء أليم لأنهم بفعلتهم هذه ، قد ارتكبوا إثمين عظيمين .

أولهما : الوقوع فيما حرم الله وهو عدم الإنصات لقرآنه الكريم وتدبر معانيه ، فلم يتحسروا عند ذكر العذاب الأليم ، ولم يستبشروا خيرا عند ذكر ما أنعم الله به على عباده الصالحين .

ثانيهما : تجسيم جرمهم ، ومضاعفة عقابهم بما اتفقوا عليه ، من رفع أصواتهم فى صورة فظة تنفر منها طباع العجماوات ، فضلا عن الإنسان ذى الرقة والشعور .

فعليكم أيها العلماء ، وأيها المؤمنون ، أن تخرسوا ألسنة هؤلاء المهرجين بألسنة حداد ، وان توقفوا عدوانهم وعدواهم ، كى لا يتسرب وباؤها إلى عامة الناس ، فتعم البلوى ، وتعظم الخطيئة وحينئذ يصدق علينا قول الله تعالى (وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً) (الأنفال : ٢٥)

التأدب مع القرآن الكريم فى كتابته

إذا كان من عادة الإنسان المهذب ، حين يكتب رسالة لوجيه ، أو يخط كتابا لرئيس ، أن يعمل كده ، ويبذل جهده فى أن يتقن ما يكتب أسلوبا ومعنى وأن يتفنن فى إبداع خطه ، وذلك بتنسيق كتابته وتوضيح حروفها ، بحيث يبدو فى صورة رائعة ، تشرح صدر القارئ ، وتدخل البهجة على نفسه .

ولتحقيق ذلك قد يلجأ الكثير منا إلى المطابع لتخط له كتابه هذا على تلكم الصورة المنشودة من الحسن والبهاء .

فإذا كان هذا شأننا مع الكتابة للوجهاء ، والرؤساء ، أفلا يجب علينا أكثر من ذلك فنعرف للعظيم قدر كلامه حين نكتب القرآن الكريم أو نستشهد فى كتابتنا ببعض آياته .

يقول الشيخ الغزالى : (يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ، ولا بأس بالنقط ، والعلامات بالحمرة ، وغيرها فإنها تزيين وتبيين ، وصد عن الخطأ واللحن) [1] .

وأما من منعوا النقط فإنما كراهة أن يؤدى ذلك إلى إحداث زيادات . . وقال القرطبى : ومن حرمته أن يجلل تخطيطه إذا خط وعن أبى حكيمة أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة ، فمر على ﷺ فنظر إلى كتابته فقال له : أجل قلمك ، فأخذت القلم فقططته من طرفه قطا ثم كتبت وعلى قائم ينظر إلى كتابتى ، فقال : هكذا نوره كما نوره الله عز وجل [2] .

ولسائل أن يسأل : بأى نوع من الخطوط يكتب؟ بالخط الإملائى الذى اعتدنا عليه ؟ أم بالخط العثمانى ؟

---

(١) إحياء علوم الدين .

(٢) أجل قلمك : هذبه ، ومعنى قططته : نحته وسويته .

والجواب : أنه لا يصح كتابة المصحف بغير الخط العثمانى المنسوب إلى سيدنا عثمان بن عفان ﷺ وذلك لأنه أمر توقيفى لا يجوز العدول عنه ، وهذا رأى جمهور العلماء ، فهم يقولون : إن هذا الخط هو الذى كتب به كتاب الوحى بين يدى الرسول ﷺ وقد أقرهم عليه .

ومن حرمة كتابة القرآن ألا يحلى بالذهب ، ولا يكتب به فتخلط به زينة الدنيا ، فعن أبى الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (إذا زخرفتم مساجدكم ، وحليتم مصاحفكم فالدبار عليكم) أى : الهلاك ، ورأى ابن عباس ﷺ مصحفا قد زين بفضه فقال : تغرون به السارق ، وزينته فى جوفه .

ومن حرمته أيضا ألا يخلط فيه ما ليس منه ، وألا يصغر المصحف، فقد روى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه رأى مصحفا صغيرا فى يد رجل ، فقال : من كتبه فقال : أنا ، فضربه بالدرة وقال عظموا القرآن ، وروى عن الرسول ﷺ أنه نهى أن يقال مسيجد أو مصيحف، أى : بتصغير كلمتى مسجد ، ومصحف .

كذلك ومن حرمته ألا يكتب على الأرض ، ولا على حائط ، كما يفعل بهذه المساجد المحدثة ، فعن عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – أنه كان يحدث قال : مر رسول الله ﷺ بكتاب فى أرض : فقال لشاب من هذيل ما هذا ؟ قال من كتاب الله ، كتبه يهودى فقال : لعن الله من فعل هذا لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه .

وقال محمد بن الزبير : رأى عمر بن عبد العزيز ابنا له يكتب القرآن على حائط فضربه .

وتقتضى حرمة الكتاب المقدس ألا يمحى من اللوح ، أو غيره بالبصاق ، كما يفعل الصغار فى الكتاتيب ، بل ينبغى أن يغسل بماء

طاهر ، وأن توضع الغسالة فى مكان طاهر بعيدا عن النجاسات ، فإن لتلك الغسالة حرمة ، وعلى معلم الصغار أن يعلمهم ذلك .

ومن حرمته كذلك أنه إذا اغتسل بكتابته للاستشفاء من مرض ألا يصب هذا الماء المغتسل به فى دورات المياه ، أو فى مكان نجس أو على قمامة ، أو على مكان يداس بالأقدام ، بل لابد من وضعه فى حفرة فى موضع طاهر ، ثم يغطيها بتراب طاهر أيضا ، ويكبسها حتى لا يتسرب منها ماء إلى خارجها ، أو يلقى بهذه الغسالة فى نهر .

بل ومن حرمته أيضا ألا يقال : سورة صغيرة ، أو سورة كبيرة ولذا يقال من قصار السور، ومن طوال السور .

ومن حرمته أيضا ألا يكتب بعضه فى أوراق ، ثم يدخل بها الحمام بل لابد أن تكون مغلفة بجلد ، أو ما يشبه الجلد .

التأدب مع القرآن الكريم فى تفسيره

إن واجب التأدب مع كلام رب العالمين ، يقتضى ألا يعرض له أحد بالتفسير ، والتأويل ، والتوضيح غير أولئك الذين بلغوا ذروة العلم بالمعانى اللغوية والبلاغية ، والقواعد النحوية ، فإن أخطر شئ فى حياة المؤمن، أن يقتحم هذا الميدان ، فيقول فى القرآن بما يتراءى له ، أو يخطر على باله ، أو بما لا يعلم من غير استدلال على ما يقول : فذلك حرام حرام ، يدلنا على ذلك قول النبى ﷺ (من قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار) رواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس أخرجه الترمذى والنسائى.

ولشدة هذه الخطورة على من يقول فى القرآن برأيه يرى بعض العلماء : أن التفسير موقوف على السماع ولا يصح لأحد أن يقول فيه

برأيه، مستدلين بقوله تعالى (فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ) (النساء : ٥٩) ومعنى الآية فى رأيهم : قولوا : الله أعلم : وهذا معنى الرد لله وللرسول ﷺ .

<u>وهذا قول ضعيف</u> ، لم تأخذ به الأمة الإسلامية ، وإلا لما وجد الاجتهاد والاستنباط ، اللذان امتازت بهما هذه الأمة وبخاصة فى العصرين الأموى والعباس .

- وقد استدل من قال بجواز الاجتهاد والاستنباط ، بقول الله تعالى (وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا) (النساء : ٨٣) وقول الإمام على ﷺ (ما عندنا إلا ما فى كتاب الله ، وما فى هذه الصحيفة أو فهم أعطيه رجل مسلم) .
- والقول الفصل فى هذا الموضوع : أنه لا يصح تفسير القرآن بالرأى إلا لمن وصل درجة الاجتهاد والاستنباط بشروطه المعروفة ، وهى كما قال البغوى (المجتهد هو من جمع خمسة أنواع من العلم ، علم كتاب الله عز وجل ، وعلم سنة النبى ﷺ ، وأقوال علماء السلف من إجماعهم ، واختلافهم ، وعلم اللغة ، وعلم القياس ، وهو طريق استنباط الحكم من الكتاب والسنة ، إذا لم يجده صريحا فى النص من الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، فيجب على المجتهد أن يعلم من الكتاب الناسخ والمنسوخ ، والمجمل والمفصل ، والخاص والعام ، والمحكم والمتشابه ، والكراهة والتحريم ، والإباحة والندب والوجوب ويعرف من السنة هذه الأشياء ، ويضاف إليها أن يعرف منها الصحيح والضعيف ، والمسند والمرسل ، ويعرف ترتيب السنة على الكتاب ، وترتيب الكتاب على السنة ، حتى ولو وجد حديثا لا يوافق

ظاهره الكتاب يهتدى إلى وجه محمله ، فإن السنة بيان للكتاب ولا تخالفه ، وإنما يجب معرفة ما ورد منها فى أحكام الشرع ، دون ما عداها من القصص والأخبار والمواعظ وكذلك يجب أن يعرف المجتهد من علم اللغة ما أتى فى كتاب أو سنة ، أو فى أمور الأحكام دون الإحاطة بجميع لغات العرب ، وينبغى أن يتحرج فيها بحيث يقف على مراد كلام العرب فيما يدل على المراد من اختلاف الحال والأحوال ، لأن الخطاب ورد بلسان العرب ، فمن لا يعرف لا يقف على مراد الشارع ، ولا يعرف أقاويل الصحابة والتابعين فى الأحكام . . . . وإذا عرف من كل ما ذكر معظمه فهو حينئذ مجتهد ولا يشترط معرفة جميعها) [1] .

فمن توفر فيه معظم شروط المجتهد جاز له تفسير القرآن ، ما عدا الأمور التى اختص الله سبحانه وتعالى بعلمها ، ولم يطلع عليها أحدا من خلقه ، فهى التى يقال فى السؤال عنها : الله أعلم ، ومن ذلك علم الساعة ، وخروج الدابة وغير ذلك ، لأن ما أجمل منه فى موضع تجده قد بسط فى موضع آخر .

وأحسن طرق التفسير : أن تطلب تفسير القرآن من القرآن ، فإن لم تجد فمن السنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، قال تعالى (وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ) (النحل : ٦٤)

ولهذا قال الرسول ﷺ (ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه) [2] أى : السنة المطهرة ، فهى وحى من الله لنبيه ﷺ .

فإن لم تجد التفسير فى القرآن ، ولا فى السنة المطهرة ، رجعت إلى أقوال الصحابة ؛ لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من الأحوال التى

---

(١) من رسالة عقد الجيد فى أحكام الاجتهاد والتقليد لولى الله الدهلوى .
(٢) هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود عن المقدام بن معد يكرب .

اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، بخاصة كبراءهم كالخلفاء الراشدين ، والأئمة المهتدين ، من أمثال عبد الله ابن مسعود ، وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم جميعا .

فإذا لم تجد التفسير فى القرآن ، ولا فى السنة المطهرة ، ولا عن الصحابة ، فافعل ما فعله كثير من الأئمة الذين رجعوا إلى أقوال التابعين ، ومن أشهرهم مجاهد بن جبر الذى قال عن نفسه (عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه ، وأسأله عنها) ومنهم أيضا : الحسن البصرى وعطاء بن أبى رباح ، وسعيد بن المسيب ، وقتادة والضحاك .

ولنا خير قدوة فى سلفنا الصالح ممن تحرجوا عن الكلام عمَّا لا علم لهم به ، فقد روى عن أبى بكر الصديق ﷺ أنه قال : (أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، إذا أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم) وما روى عنهم من تفسير القرآن الكريم فذلك مما علموه ؛ لأنهم تكلموا عما علموا ، وسكتوا عما جهلوا ، عملا بقول الحق تبارك وتعالى (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران : ١٨٧) وقوله ﷺ (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) أخرجه أبو داود والترمذى عن أبى هريرة .

تخويف وتحذير لمن يتطفلون على تفسير القرآن

كثيرا ما يرى الإنسان وبخاصة فى القرى الريفية أناسا متعالمين لا يعرفون عن البلاغة إلا اسمها ، ولا يدركون عن اللغة العربية غير قشورها ، ثم يتصدرون المجالس للفتوى ، بل وتفسير الآيات القرآنية فى بيوت الله ، أو فى مجالسهم الليلية ، متخذين من عامة الناس وجهلائهم حلقات تشبه حلقات الدروس العلمية ، ويبدو هؤلاء وكأنهم

منحوا من وفرة العلم و المعرفة ما يؤهلهم لهذا المنصب الخطير ، الذى لا يقل شأنا عما يتعرض له الجندى الأعزل من السلاح إذا وقف فى ساحة الوغى .

فيا من تقتحم قدسية القرآن الكريم فتفسره وأنت لا تعرف الرأى القوى من الضعيف ، ولا الناسخ والمنسوخ ، ولا الحديث الصحيح من الحديث الموضوع ، ولا العام من الخاص ، وأحذرك من الوقوع فى مهاوى الردى ، فقد زين لك الشيطان عدوانك على القرآن ، حتى زللت فى قولك ، وقلت فيه برأيك ، فاتخذت بذلك مقعدا لك فى جهنم ، وأنت لا تدرى ، فقد قال الرسول الكريم ﷺ (**اتقوا الحديث علىَّ إلا ما علمتم فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وإذا كان أبو بكر ﷺ وهو أقرب الناس بصاحب الشريعة الغراء ﷺ وأكثرهم صحبة له ، وأعلمهم بأمور الدين ، تأبى عليه تقواه أن يقول فى القرآن برأيه حيث قال – فيما ذكرناه سابقا - (أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى ، إذا أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم) .

فلتتق الله فيما تعرض له من أمر تعجز عنه كل العجز ، لأنك وأمثالك فى حاجة إلى معرفة تامة بفنون اللغة والعربية وعلومها ، كى تعرف أن هناك حذفا فى مثل قول الله تعالى (وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) (الإسراء : ٥٩) .

لأن مثلك يظن أن معنى الآية : أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ، كما أنه لا يعرف : بماذا ظلموا ، وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم

أما من كان على علم باللغة العربية فإنه سيدرك أن فى الآية محذوفات وأن معناها : وأعطينا ثمود الناقة آية مبصرة ، فظلموا أنفسهم بقتلها ، فإذا كنت ملما بقواعد اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ، استطعت أن تعرف ما فيها من إيجاز بالحذف ، وما فيها من إضمار مكان الإظهار ، وتقديم وتأخير ، وغير ذلك من معان لغوية لا يحيط بها علماء اللغة ، فضلا عن الجهلاء .

للتفسير قاعدة محددة

وهذه القاعدة هى أن ما سمع عن رسول الله ﷺ وتواتر به القول سلمنا جميعا بصحته ، ولا يجوز لنا أن نقول بغيره ، وما ليس كذلك فإنه يجوز تفسيره بما يحتمله من معان تدخل فى مفهوم لغتنا ومدلولها شريطة ألا يتعارض هذا المعنى التفسيرى ، مع معنى آية أخرى أو حديث متواتر ، وأن يكون القائل به ممن تنطبق عليه غالبية شروط الاجتهاد المذكورة سابقا ، وبهذه المناسبة أذكر ما يقوله أفاضل علماء التفسير لهؤلاء ، الذين يحملون الآيات معانى بعيدة ، تخالف ما يراه أهل اللغة ، أو ما يجمع عليه من اشتهروا بتفسير القرآن ، إن فعلتم ذلك تأكيدا لنزعة أو هوى ، فلا قبول لرأيكم .

يقول الخازن فى تفسيره : قال العلماء : النهى عن القول فى القرآن بالرأى إنما ورد فى حق من يتأول القرآن ، تبعا لهواه ، وهذا إما أن يكون عن علم ، أو لا ، فإن كان عن علم كمن يجنح ببعض آيات القرآن لتصحيح بدعته ، وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك ، وإنما يريد أن يقوى حجته على خصمه كما يفعل الباطنية والخوارج كان مذموما ، وداخلا فى النهى والوعيد الوارد فى الحديث ، كالجاهل الذى يفسر بغير

علم ، بأن تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعانى .

فأما تأويل الآية على طريق الاستنباط إلى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها ، وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فإن الصحابة ﷺ قد فسروا القرآن ، واختلفوا فى تفسيره على وجوه [1] .

ويقول الإمام القرطبى : من قال فى تفسير القرآن بما سَنَح فى وهمه ، وخطر على باله ، من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ ومن استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح [2] .

التفسير العصرى للقرآن الكريم

منذ أمد غير بعيد نرى أناسا يفسرون القرآن تفسيرا يطلقون عليه أحيانا اسم (التفسير العصرى للقرآن) وأحيانا أخرى اسم (التفسير العلمى للقرآن) .

وقد ظهر هذا النوع من التفسير فى صورة يتضح فيها إخضاع النصوص القرآنية إلى ما يُستجد من نظريات علمية ، بحيث كلما ظهرت واحدة منها ارتفعت الأصوات قائله بوجودها فى القرآن الكريم وكأن كتاب الله كتاب فلكى ، أو طبى ، أو طبيعة ، أو كيميا ، أو بمعنى شامل (كتاب) تكنولوجيا حديثة .

---

(١) من كتاب تفسير الخازن بتصرف يسير .
(٢) من تفسير القرطبى صفحة ٢٨ مجلد / ١ .

إن القرآن الكريم كتاب جاء لهداية البشر ، وتوجيههم إلى الخير والرشاد فى حياتهم وتوضيح صلتهم بهذا الوجود وخالقه ، تاركا للعقل البشرى اهتداءه إلى النظريات العلمية ، ووسائل الابتكار والاختراع التى منحها الله لهذا العقل حين خلق الإنسان الأول (وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا) (البقرة : ٣١) والتى تكفل الله بها حين قال (عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق : ٥)

إذا لا يصح لنا أن نتسرع بإخضاع ما نراه فى القرآن من مجرد التوجيه والإرشاد لنا إلى أية نظرية حديثة ، قد تتعرض فى مستقبلها للنقض والبطلان ، أو التعديل أو التصحيح ؛ لأننا إذا أقحمنا هذه النظريات على القرآن ، أو قلنا – عند ظهور أىٍّ منها إنها موجودة فيه أو إنه يؤيدها ، وما إلى ذلك مما نسمعه الآن : فإننا بذلك نكون قد أوقعنا أنفسنا في مأزقين خطرين لا يتناسبان وجلال الكتاب المقدس .

<u>أولهما :</u> أننا سندخل الشك فى قلوب عامة الناس وجهلائها إذا عُدِّلت هذه النظرية ، أو ظهرت أخرى تناقضها .

<u>وثانيهما :</u> أننا حينئذ سنضطر إلى تغير ما فسرنا به الآية الكريمة واستبداله بتفسير آخر ، وكأننا بذلك نفسر أفكارا بشرية ، أو نظريات علمية ، تعالى كلام رب العالمين عن ذلك علوا كبيرا

- وخير لنا فى هذا الصدد أن نعرف أننا مأمورون بالتفكير والتدبر فى مباحث الوجود ، وأسرار الطبيعة ، وخفايا الكون ، وأن نفهم أن قرآننا الكريم قد أشار إلى كل ميدان من ميادين الحياة العلمية إشارات عامة ، بعيدة عن تحليل النظريات وتفاصيلها ؛ لأن ذلك التحليل والتفسير مَنُوط بما يُوحَى إلى العقول البشرية من إلهام ، كما أن القرآن الكريم لم يأمرنا بالتماس التوفيق بين نُصوصه ، وبين نظريات العلوم كلما ظهرت ، إذ أنها كما قلنا عُرضة للتغيير أو التصحيح ،

وإنما يأمرنا بتتبع أسرار الوجود ، لنعرف أن له مُبدعا حكيما ، وخالقا عظيما ، ولن ندرك أسراره إلا بالتعمق فى الميدان العلمى والتجريبى.

وفى رأيى أن القرآن الكريم إذا أشار إشارة عامة إلى أية نظرية علمية ، فإن ذلك لا يعنى أنه كتاب جاء ليعلم البشر نظريات كل عصر أو مخترعاته ، وإنما ذلك إشارة لطيفة من المولى جل وعلا يسوقها إلى أهل كل عصر ، ليدركوا أن القرآن الكريم تنزيل من خالق هذا الكون وليس من صنع بشر ، وأنه معجزة الرسالة المحمدية حتى تقوم الساعة وتفنى المخلوقات ، وذلك كى لا يجرفهم الإلحاد الذى يُصاب به المفتونون من ضعاف العقول فى كل عصر ، والذين لا يدركون أن أى تقدم علمى يزيد إيمان العبد بربه ، حيث يرى فيه عظمة الخالق فى براعة مخلوقاته ، ويدرك جلاله فى روعة إبداعه .

التأدب مع ذات المصحف الشريف

لما كان المصحف عبارة عن مجموعة من الأوراق والصحف التى شرفت بكتابة كلام رب العالمين عليها ، كان لزاما على كل مسلم منا أن يَرْعَى حرمة هذه المجموعة من الصحف ، لما تحمل من النور الربانى الذى يشع فوقها .

وقد سميت هذه المجموعة الورقية بالمصحف لأن الكلمة - كما قال الجوهرى فى الصّحاح - مأخوذة من الفعل (أصْحِفَ) بمعنى جُمِعتْ فيه الصُحُف [1] .

- ومن حرمات هذا المُصحف ، إذا أردت أخذه أن تتناوله بيدك اليمنى لا باليسرى ، أو تأخذه بكلتا يديك ، فإذا أردت القراءة فليكن هذا شأنك

(١) صفحة ٣٧٥ مادة (صحف) مختار الصحاح للرازى طبعة وزارة التربية والتعليم .

معة ، أو تضعه على شئ بين يديك ، أو في حجرك ، على أن يكون على شئ طاهر نظيف .

- ومن حرمته حين القراءة كما قال الإمام القرطبي : أن يُعْطِيَ القارئ عينيه حظهما منه ، فإن العين تؤدي إلى النفس ، وبين الصدر والنفس حجاب ، والقرآن في الصدر ، فإذا قرأه عن ظهر قلب فإنما يُسمع أذنه فتؤدي إلى النفس ، فإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا في الأداء ، وذلك أفضل للأداء ،..... قال رسول الله ﷺ **(أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرا)** [1] .
- ومن حرمة المصحف ألا تتكئ عليه عند قيامك ، أو تتوسده عند اضطجاعك ، أو منامك ، لأن في ذلك إهانة لعظمته .
- ولا يجوز أن تلقى به إلى صاحبك ، إذا طلبه منك ، بل أعطه بيدك اليمنى ، أو كلتا يديك .
- وكذلك من حرمته ألا تتركه منشورا إذا فرغت من قراءته ، وألا تتهاون في ترك أوراقه البالية ، تذهب بها الريح حيث تشاء ، بل امْحُها بماء طاهر إن أمكن ، واضعا إياه في بحر ، أو في حفرة ، أو في مكان طاهر ، بعيدا عن سير الأرجل فوقه .
- فإذا أردت وضع المصحف في مكان ما ، فاجعله فوق الأشياء ، لا في وسطها ، أو تحتها ، حتى يكون عاليا فوق كل هذه الأشياء ، سواء كانت كتبا ، أم غير كتب ، وسواء كان وضعه في مكتبة أو صندوق أو غيرهما .
- ولا تدخل به خلاء إلا إذا كان مُغلّقاً بغُلافٍ من جلدٍ أو فضة أو غيرهما .
- وينبغي لمن يَطْبَعُه ألا يُصغّر حجمه ، فقد رَوَى الأعمش عن إبراهيم عن علي ﷺ قال : لا يُصغّر المصحفُ ، ورُوي عن عمر ابن الخطاب ﷺ ، أنه رأى مصحفا صغيرا في يد رجل : فقال مَنْ كتبه : قال أنا : فضربه بالدّرة ، وقال عَظّموا القرآن [2]

---

(١) من تفسير القرطبي صفحة ٢٤ مجلد ١ طبعة الشعب .

(٢) من تفسير القرطبي صفحة ٢٥ مجلد ١ .

التأدب مع رسول القرآن الكريم ﷺ

لما كان رسول الله ﷺ هو المبلغ للناس ، ما أوحى إليه من كلام رب العالمين ، وهو الأمين على هذا التبليغ ، كان من الواجب علينا أن نضعه في المكانة التى تليق به ، تكريما له وتقديرا ، وتعظيما لما جاء به من تنزيل حكيم .

لهذا فقد بين لنا المولى جل شأنه كيف يتحقق منا التأدب مع رسوله الكريم ﷺ فى صورة كريمة ، لا تصل إلى حد العبادة ، بل ولا تقرب من التقديس المفضى إليها ، وذلك خشية أن نقع فيما وقع فيه النصارى قبلنا ، حيث وصل بهم أمر تعظيم نبيهم عيسى ﷺ ، إلى أن صار فى معتقداتهم أنه ابن الإله ، بل وإله للأرض والسماء .

وقد رسم لنا القرآن الكريم صورة التكريم لنبينا ، بطريقة أقصى ما توصف به ، في لغة عصرنا ، أنها من نوع تقدير الجندى لقائده وعدم القول أو البت فى أمر إلا باستشارته .

وتتضح هذه الصورة فى قوله سبحانه (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الحجرات : ١)

ونقول فى توضيح معنى الآية : يا معشر المؤمنين لا تقدموا قولا ولا فعلا بين يدى الله ، وقول رسوله ﷺ وفعله فيما تأخذونه عنه من أمر الدين والدنيا [١] كما حذرنا أن نخاطبه كما يخاطب بعضنا بعضا ، لأن فى ذلك

(١) تفسير القرطبى .

عدم تقدير لمنزلته قال سبحانه (لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ) (النور : ٦٣) .

ولهذا لا يصح لأحد منا أن يجهر له بقوله كما يفعل مع زملائه فى العمل ، أو أصدقائه فى الحياة ، وكذلك لا يجوز لأحد أن يرفع صوته فوق صوته ، سواء كان ذلك فى حياة النبى ﷺ ، أم بعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، وذلك يكون عند قراءة حديثه فى مجلس درس أو وعظ ، يُشير إلى ذلك كله قول الحق تبارك وتعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ) (الحجرات : ٢) .

وقد أثنى الله على من يغضُّون أصواتهم عند رسول الله ﷺ ووصفهم بأنهم من عباده المتقين حيث قال (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ) (الحجرات : ٣) وقد أثابهم على ذلك إثابة عظيمة حين قال (لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ) (الحجرات : ٣)

أما هؤلاء الذين لا يتأدبّون معه فى ندائه ، فقد سفه أحلامهم وسلب العقل عنهم حين قال (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ) (الحجرات : ٤) وبين لهم أن الخير فى انتظار

النبى ﷺ والتحلى بالصبر ، حتى يخرج إليهم (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات : ٥)

ومن أنواع التكريم التى حث الله عليها عباده المؤمنين تجاه نبيهم أنه أمرهم بالاستئذان منه عند الانصراف من مجلس جمعهم فيه للتشاور فى مهام أمورهم ، لأن من انصرف دون إذنه من مجلس كهذا بلغ حدا عظيما من الأهمية ، كان بمثابة المستهتر بشئون الأمة والجماعة ، أو المستهزئ بمكانة القائد أو الرائد ، ومن هنا جاءت الآية الكريمة (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (النور ٦٢) كذلك جعل الله من التأدب مع الرسول الكريم ، تعظيم حرمة بيوته ، فلا يدخلها أحد إلا بإذنه ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) (الأحزاب : ٥٣) .

كذلك لا يصح لأحد أن يسأل نساءه شيئا إلا من وراء حجاب ، لأن فى ذلك طهارة لقلوبكم وقلوبهن (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ) (الأحزاب : ٥٣) .

ولا يصح لأحد أن يتزوج نساءه من بعده ، لأن ذلك أمر يتنافى مع ما جعله الله لرسوله من رفيع المنزلة (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا) (الأحزاب : ٥٣) .

فعليك أيها المؤمن أن تحافظ على هذه الآداب مع من قال الله فى شأنه (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) (الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦)

وختاما أقول: جميل أن نلتزم بهذه الآداب فى تعاملنا مع القرآن الكريم تلاوة واستماعا، وكتابة وتفسيرا، ولكن ذلك وحده ليس هو التقوى والورع، بل تتحقق التقوى والورع إذا أسسنا هذه الآداب وأقمناها على العمل بما جاء به القرآن الكريم ، وأصبح أمره ونهيه واقعا ملموسا ومتداولا فى حياتنا كلها ، قولا وعملا وسلوكا ، وانتظاما على أرض الواقع الذى نعيشه ونحياه

رقم الإيداع

٢٠١١/٥٣٦٩



